مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

FONDATION CORDOUE DE GENÈVE
مؤسسة قرطبة بجنيف

الإصدار الخاص بندوة

نحو مقاربة نموذجية لمواجهة

خطاب الغلو والتطرف

في السياق السوري

من خلال التجارب والدروس المستفادة

والتي أقيمت في استنبول
٢٢ ربيع الآخرة ١٤٤٠هـ، الموافق لـ ٢٠١٨/١٢/٢٩م

وذلك بالشراكة والتعاون بين مركز الحوار السوري
ومؤسسة قرطبة في جنيف

جدول المحتويات

تمهيد وتوضيح لسياق الندوة: 2

ملخص: 4

أولاً: الورقة الأولى: دور المرجعية العلمية في مكافحة الغلو (د. عماد الدين خيتي): 7

ثانياً: الورقة الثانية: معايير لتمييز جماعات المعارضة السورية المسلحة المتطرفة عن المعتدلة موجهة لصناع القرار (د.محمد سالم): 17

ثالثاً: الورقة الثالثة: قراءة في بعض تجارب فصائل المعارضة مع تنظيمات الغلو والتطرف (أ.عباس شريفة): 39

رابعاً: سرد مجريات الندوة موضوعياً (تقرير): 66

خامساً: توصيات واقتراحات: 90

تمهيد وتوضيح لسياق الندوة

في الوقت الذي يتم الحديث فيه عن هزيمة تنظيم "داعش" وتراجعه عسكرياً تحت تأثير ضربات التحالف الدولي، وتصوير ذلك على أنه نهاية لموجة التطرف والغلو التي عصفت بالمنطقة، وذلك تزامناً مع الحديث عن إعادة شرعية النظام السوري باعتباره المنتصر في الحرب، يعيد هذا إلى الأذهان حالة تكرار الأحداث والأسباب التي أدت إلى موجات ارتدادية من الغلو والتطرف سابقاً، فقد تولد "تيار الجهاد العالمي" من حالة فشل بعض الحركات المسلحة في إسقاط أنظمتها في مصر وسورية وليبيا والجزائر وغيرها (والتي بدورها غالباً ما تولدت نتيجة القمع الشديد أو الانقلاب على نتائج الانتخابات أو إنهاء الحياة السياسية)، الأمر الذي أدّى إلى تولد فكرة "الجهاد العالمي" باعتبار "النظام العالمي" أصلاً وجذراً للمشكلة وفق تصورات تلك الجماعات[1]، الأمر الذي يُوضّح إمكانية نشوء موجات جديدة من العنف والتطرف في الوقت الذي يتم الحديث فيه عن إنهاءه، طالما أن المقاربات المطروحة لمعالجته تقتصر على الجوانب الأمنية والعسكرية، ولا تعالج الأسباب والجذور الاجتماعية التي ولّدت حالات الغلو والتطرف، بما فيها قضايا الفقر وفقدان الهوية الوطنية، والظلم الاجتماعي المتفشي، وضعف التنمية وتزايد الفوارق الطبقية الكبيرة، وخاصة في الأرياف مما يفتح الباب لإمكانية تولده من جديد، وسط اجتياح موجة من ثقافة الكراهية والميل نحو الاتجاهات اليمينية في عدد من دول العالم، والتي تعني تغذية لتشكيل بيئة حاضنة للفكر المتطرف على مختلف الأصعدة وعند مختلف الأطراف، خاصة أنه يشكل بيئة مثالية للأنظمة القمعية لتثبت شرعيتها من خلاله، هذا فضلاً عن استمرار وجود بعض جماعات الغلو المتطرفة الأخرى في الشمال السوري، الملف الذي لا زال بحاجة إلى حلول ناجعة.

لقد عمل مركز الحوار السوري مبكراً ومنذ نشأته على مراقبة ظاهرة الغلو والتطرف ونشوئها والتحذير منها داخل أوساط المعارضة السورية، من خلال إصدار الدراسات وعقد الندوات التشاورية التي كان يحضرها مختلف ممثلي قوى الثورة والمعارضة، إضافة إلى عدد من قادة الرأي الدينيين ذوي المصداقية[2] ، وإيماناً من مركز الحوار السوري بضرورة استمرار رسالته تلك وتعزيزها بجهود وخبرات احترافية عالمية متنوعة، اتجه المركز إلى التعاون مع منظمة قرطبة بجنيف، والمتخصصة في النشاطات الحوارية الهادفة لمواجهة الغلو والتطرف العنيف منذ العام 2002 بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، والتي أقامت العديد من الورشات في الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا حول مواضيع التطرف ومواجهته[3]، ليصار إلى إقامة هذه الندوة التي حضرها عدد من قادة الرأي الدينيين السوريين ذوي المصداقية والتجربة، إضافة إلى ممثلين عن فصائل المعارضة السياسية والعسكرية، وبعض الباحثين والمختصين في المجالات السياسية والمجتمعية.، باعتبار وجود تجارب للفصائل السورية في مواجهة غلو كل من تنظيمي "داعش" والنصرة وأشباهها، وعمل مركز الحوار السوري في أوقات سابقة على دراسة تلك التجارب.

---

[1] ويظهر هذا واضحاً لمن اطلع على مراجعات بعض المنظرين الجهاديين، ولعل أبرزهم، صاحب كتاب "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" عمر عبد الحكيم (أبو مصعب السوري)، وفيها يفصل في أسباب التحول نحو النهج العالمي الجديد.

[2] ينظر على سبيل المثال، الندوة التشاورية الرابعة في العام 2014، والتي حضرها 60 شخصاً من مختلف الأطياف، http://sydialogue.org/ar/24.

[3] ينظر موقع منظمة قرطبة بجنيف: https://www.cordoue.ch/ar/تعرف-علينا/من-نحن-؟/خلفيتنا .

وتجدر الإشارة إلى أن الأوراق الواردة في الندوة والنقاشات التي دارت حولها لا تُعبّر بالضرورة عن رأي المركز وما يتبناه، بناء على أن المركز يوفر منصة حوارية لمختلف الآراء المتحاورة.

ملخص

امتلكت الحالة السورية بعداً مركزياً على المستوى الاقليمي والعالمي في صعود الغلو والتطرف ونموه بحكم الأحداث المتسارعة التي عصفت بالبلاد بعد قيام الثورة السورية الشعبية التي أصرّ النظام السوري على مواجهتها باعتبارها "تنظيمات إسلامية متطرفة" منذ يومها الأول. وبعد اشتداد الصراع المسلح ظهرت مختلف التيارات المتطرفة بقوة، وأبرزها تنظيم "داعش" الذي استطاع السيطرة على ما يقارب 50% من مساحة سوريا في فترة من الفترات، مع قيامه بالاستفادة من ثروات سورية النفطية والزراعية المختلفة، إضافة إلى تنامي ظهور التنظيمات المتطرفة الأخرى الأقل شأناً من "داعش". ثم ما لبث أن انحسر تنظيم "داعش" عن مناطقه السابقة، تحت تأثير جهود مواجهته من مختلف الأطراف، ومنها تجارب فصائل المعارضة السورية، وأدى ذلك المشهد إلى عواقب مختلفة ومتنوعة.

إبّان ذلك، تحولت بعض الفصائل السورية المتأثرة بفكرة "الجهاد العالمي" العابر للحدود نحو رؤىً وطنية معتدلة نسبياً وتدريجياً. وفي ذات الوقت، بقيت محافظة ادلب والشمال السوري كمعقل أخير لفصائل المعارضة مع عدد من الفصائل والتنظيمات المتطرفة. ويبدو من الأهمية بمكان حشد كل الطاقات والخبرات السابقة لإنقاذ الشمال السوري من التأثير التدميري (الذاتي أو بوصفه ذريعة للتدخل العسكري) لفصائل الغلو على المدى القريب العاجل، إضافة إلى بحث سبل الاستفادة من الخبرات والدروس السابقة وصولاً إلى أفضل الاستراتيجيات العملية في الخطابات السياسية والشرعية ضد الغلو والتطرف.

وفي هذا السياق، أقام مركز الحوار السوري، وبالتعاون مع مؤسسة قرطبة بجنيف ندوة حوارية ضمت عدداً من الفاعلين السياسيين والشرعيين السوريين، حيث تم استعراض تجارب بعض أهم فصائل وهيئات المعارضة السورية في خطاباتها الفكرية والشرعية والسياسية ضد فكر الغلو والتطرف، بهدف الاستفادة من تلك التجارب في رسم معالم طريق للوصول إلى مقاربة نموذجية في توجيه الخطاب ضد ذلك الفكر، وبهدف الوصول إلى توصيات تؤسس لمقاربة متكاملة لمواجهة خطاب الغلو والتطرف، من خلال فهم دورة حياة ظاهرة الغلو ونموها والعوامل التي تسهم في تشكيل البيئات الحاضنة لها، واستعراض دور الخطاب الشرعي، وأثر تشكيل المرجعية الشرعية الموحدة على نمو الغلو، بما في ذلك المقترحات الممكنة لتعزيز شرعية وتأثير المرجعية الشرعية الموحدة وتفعيلها، إضافة إلى تحليل العوامل التي أدت إلى تحولات بعض الفصائل المتأثرة ب "السلفية الجهادية" نحو الاعتدال النسبي.

وقد تم في الندوة استعراض ثلاثة أوراق متنوعة وفق ما يلي:

1) **الورقة الأولى، وهي بعنوان: دور المرجعية العلمية في مكافحة الغلو:**

حيث استعرضت الورقة معاني الغلو والتطرف من الناحية الشرعية، ودور المرجعيات الشرعية، والمرجعية الشرعية السورية الجامعة لمختلف المرجعيات (المجلس الإسلامي السوري)، ومدى تأثيرها الإيجابي في البيئات المحلية القابلة لاحتضان ظاهرة التطرف، حيث أظهر ومكوناته مواقف صريحة ضد الغلو بشكل مبكر.

كما عرجت الورقة على دور المؤسسة الدينية الرسمية سابقاً في دعم نمو الغلو بشكل غير مباشر من خلال قيامها بإضفاء الشرعية على "النظام السوري" وممارساته بالرغم من فظاعاتها وسوئها، الأمر الذي دفع العديد من الشباب إلى أحضان شبكات الغلو التي استخدمها النظام السوري بدروه لأهدافه الخاصة في العراق وغيرها، وأدى ذلك في النتيجة إلى فقدان كثير من المرجعيات الشرعية لرمزيتها ومصداقيتها في نظر الشباب، وذلك بهدف الاستفادة من الأخطاء وتعلم الدروس، وصولاً إلى رؤية واضحة لتفعيل وتعزيز المرجعية الشرعية الموحدة ومضاعفة تأثير خطابها.

2) الورقة الثانية بعنوان: معايير لتمييز جماعات المعارضة السورية المسلحة المتطرفة عن المعتدلة (موجهة لصناع القرار):

تأتي الورقة في سياق تلبية الحاجة إلى وجود معايير واضحة وعادلة لتمييز جماعات المعارضة السورية المعتدلة عن الجماعات المتطرفة، نظراً لشيوع التوصيفات التعميمية لدى مختلف مستويات صنّاع القرار فيما يتعلق بمختلف جماعات المعارضة السورية من ناحية تطرفها أو اعتدالها، ولعل منبع ذلك التأثر بقدر ما ب"بروباغندا" النظام السوري، والتي تصنف كل جماعات المعارضة على سوية واحدة من التطرف والغلو، وبالتالي، لا بدّ من وضع معايير واضحة قابلة للقياس، بحيث يمكن لصانعي القرار من خلالها التمييز بين مختلف الجماعات المتطرفة والمعتدلة، وتوصلت الورقة إلى وضع عدة معايير مبدئية لقياس الغلو الديني، وكذلك معايير مشابهة للتطرف السياسي، كما سلطت الورقة الضوء على تحولات بعض الجماعات نحو التطرف أو الاعتدال من خلال دراسة حالة تحول "حركة أحرار الشام" باتجاه خطاب وطني واعتدال نسبي، وإرهاصات ذلك التحول ومآلاته، كما أشارت الورقة لوجود ملامح نشوء شيء من الغلو والتطرف لدى الاتجاهات والتيارات الأخرى "غير الإسلامية"، وبالأخص، ما بدا من مؤشرات على سلوك بعض التيارات من خلال اعتمادها على تطلعات القوى الخارجية لفرض أجنداتها ورؤيتها على السوريين عبر خطابها الذي يؤكد على دمغ كل "التيارات الإسلامية" بالتطرف والإرهاب دون أي تمييز، وإبداء الاستعداد لتقديم طروحات قد تتماهى مع تطلعات تلك الدول بإقصاء الدين تماماً عن الحيز العام في مستقبل سوريا، وأثر ذلك في توليد ردّات فعل عكسية تُغذّي التطرف والغلو.

3) الورقة الثالثة بعنوان: قراءة في بعض تجارب فصائل المعارضة مع تنظيمات الغلو والتطرف:

وقد سلطت الورقة الضوء على عدة تجارب لفصائل المعارضة بحسب كل منطقة وكل فصيل، حيث استطاعت فصائل المعارضة استئصال تنظيم "داعش" في الغوطة الشرقية وعدد من المناطق، لكنها اضطربت في تعاملها مع "جبهة النصرة" المبايعة للقاعدة وفصائل الغلو الأخرى، وقد رافق ذلك تحولات لبعض جماعات "السلفية الجهادية" نحو الخطاب الوطني والاعتدال النسبي، وقد استعرضت الورقة مختلف الممارسات والخطابات لعدد من الفصائل محل الدراسة، والتي واجهت تنظيمات الغلو فكرياً وعسكرياً، وصولاً إلى استخلاص توصيات ودروس مستفادة بهدف تحقيق أفضل الممارسات فيما يتعلق بمواجهة خطاب الغلو فكرياً وسياسياً، مع استخلاص أهم الأخطاء في الممارسات والخطاب التي من المحتمل أنها قد دفعت بعض الشباب إلى التأثر بخطاب جماعات الغلو والتطرف بهدف تجنبها مستقبلاً.

وقد أتيحت فرصة الحوار والمداولات بعد استعراض كل ورقة بين الحاضرين للندوة، والذين تنوعوا بين ممثلين عن بعض فصائل المعارضة التي خاضت تجارب المواجهة المسلحة والفكرية مع الغلو، ومتخصصين من المرجعيات الشرعية التي واجهت خطاب الغلو، إضافة إلى عدد من الباحثين سياسياً ومجتمعياً، وبعض ناشطي المعارضة السياسيين، ليتم بعدها التوافق على مجموعة من التوصيات العملية.

وقد أعدّ مركز الحوار السوري تقريراً موضوعياً ليضع القارئ الكريم في أجواء الندوة والنقاشات التي دارت فيها، وبهدف إيضاح السياق العام الذي أقيمت فيه الفعالية من خلال توضيح الأسباب التي دفعت إليها، وبيان أهميتها، والهدف منها، وتم وضعه هنا إلى جانب الأوراق والتوصيات لتشكيل صورة كاملة عن الندوة وسياقها ونتائجها.

الورقة الأولى: دور المرجعية العلمية في مكافحة الغلو

د. عماد الدين خيتي[4]

توطئة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله تعالى قد شرع لعباده المسلمين الرجوع لأهل العلم في معرفة أمور دينهم، وإذا أشكل عليهم شيء فيها، قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 83]، وقال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43].

إن اتخاذ مرجعيات دينية موثوقة مشهود لها بالأمانة والعلم والتقى والوَرَع من أهم الأسباب الوقائية في حماية المجتمعات من الغلو والضياع والانحراف؛ فالعلماء هم حملةِ الدّين، وحرّاسِ الشرع، وحصنِه المنيع، الذين (ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين)[5] ولا يتحصّل العلمُ إلا عن طريقِهم، ولا يُتوصّل إلى الحقِّ إلا بهم.

أما رفض أقوالهم ومناهجهم والخروج عنها إلى أقوالِ مَن لم ترسخ قدمُه في العلم، ولم يُعرف بفقهٍ ولا علمٍ، فيحصلُ بذلك الانحرافُ، وقد حذّر النبي صلّى الله عليه وسلم من اتخاذ الرؤوس الجهال مرجعيات دينية، لأنهم سيكونون سببًا في انهيار المجتمع وضلاله وغَرَقِه، فهم ضالّون عن الحق يظنّون أنهم مهتدون، ويضلّون غيرهم من عامّة الناس ممن ينخدعون بكلامهم وفتاواهم، قال ﷺ: (إنَّ اللهَ لا يقبض العلمَ انتزاعًا ينتزعه مِن العباد، ولكن يقبض العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ النّاسُ رؤوسًا جهّالًا، فسُئلوا فأفتوا بغير علمٍ، فضلّوا وأضلّوا)[6].

وفي أوقات الاضطرابات والقلاقل والفتن تزداد حاجة الناس لأهل العلم، والشباب خاصّة؛ فيبينون لهم مواطن الخطر، ويحذّروهم من الفتن، ويردّون على الشبهات التي يبثّها أهل الزيغ والضلالة، ويدلّونهم إلى الطريق الصحيح والقويم، ويأمرونهم بلزوم جماعة المسلمين وترك التفرّق، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النسا: 59].

وقد ورد عن عدد من السلف قولهم: "إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهل".

موقف الغلاة من أهل العلم[7]:

يتوجه الغلاة بالتكفير والاستهداف لكافة شرائح المجتمع، لكنهم يخصون أهل العلم وطلبته بمقدار أكبر من منها، وما ذلك إلا لأن هؤلاء العلماء قد وقفوا ضد الانحراف الفكري والشذوذات العقدية والفقهية والسلوكية التي جاء بها الغلاة، وردّوا عليها بالطرق العلمية، وأوضحوا عَوَارها وأخطاءها؛ فكانوا -بإذن الله تعالى- الصخرة الصلدة التي تحطمت عليها شُبه هؤلاء، وحمى

---

[4] عضو المجلس الإسلامي السوري وباحث ومختص في القضايا الإسلامية المعاصرة وجماعات الغلو والتطرف

[5] أخرجه البزّار في مسنده (247/16)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (17/10)، وغيرهما، وفي ثبوته خلافٌ.

[6] أخرجه البخاري (31/1)، ومسلم (2058/4).

[7] ينظر: تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام، عماد الدين خيتي.

الله بهم أجيالًا من الشباب، مما أوغر صدور هؤلاء الغلاة عليهم، واعتبروهم أخطر عقبة في سبيل قيام مشروعهم وترسيخ أفكارهم، فكان لهم النصيب الأكبر من حملة الإسقاط والتخوين، بل والتكفير والقتل.

كما عملوا على تزهيد الشباب في طريقة أهل العلم، وفيما يعكفون عليه من تعليم وتربية، ووصفوها بالخيانة لدين الله، وتضييع الجهود، والجبن[8]، ثم نصبوا رؤوسًا جهالًا يقررون لهم المسائل الكبار، ويفتونهم في الدماء والأعراض..

فإذا تزعزعت ثقةُ الشّباب بأهلِ العلم سقط هذا الحصنُ المنيعُ، ولم يبقَ للشّباب حصانة أمامَ أيّ فكرٍ أو انحرافٍ يُعرض عليهم؛ لعدم وجود مَن يرجعون إليه في هذه المدلهمات والخطوب.

أهمية دور العلماء في مكافحة الغلو:

مكافحة الغلو مسألة يشترك فيها المجتمع أفرادًا ومؤسسات، لكن تقع على عاتق المختصين بالشريعة من علماء وطلبة مسؤولية أكبر في ذلك، وهم المعنيون بهذا الأمر في المقام الأول لما يلي:

1- أن انحراف الغلاة هو في المغالاة في فهم الشرع وتطبيقه (حسب فهمهم)، كما أنهم يستخدمون المصطلحات الشرعية والشعارات نفسها التي يتعامل بها المسلمون، ويتصدون للفتيا ونشر أفكارهم في المجتمع، مما يؤدي إلى الانخداع بهم واشتباه أمرهم على عامة الناس، مما يجعل التفريق بينهم وبين أهل العلم الصحيح من اختصاص أهل العلم.

2-أن التصدي لشبهة الغلاة الدينية، وكشف خطئها وانحرافها، والرد على أصحابها ونقاشهم إنما يكون على يد أهل العلم المختصين في الشريعة.

3- كما أن إطلاق أوصاف الغلو والخروج، والحكم بالابتداع في الدين، والإخراج من منهج أهل السنة، وما يترتب على ذلك من إباحة القتال إراقة الدماء وإتلاف الأموال، إنما هي أحكام شرعية في غاية الخطورة والدقة، وهي من اختصاص أهل العلم لا غير.

4- ضبط بوصلة التعامل مع الغلاة[9] من حيث إطلاق الأحكام أو تصنيف الجماعات، أو أحكام القتال ونحو ذلك من جهتين:

أ- عدم الغلو في التعامل مع الغلاة من حيث تكفيرهم أو إطلاق استباحة دمائهم وأموالهم، أو المساس بعوائلهم، أو مماثلة ما يمارسونه من وحشية تجاه الأسرى والمعتقلين بمثلها.

ب- التصدي لمحاولة تشويه حملة الدعوة والجماعات الإسلامية بأوصاف الخوارج؛ فإن مما شهده العصر الحالي من انحرافات عن الشرع: محاربة العديد من الحكومات والأنظمة لحملة الدعوة والداعين إلى إقامة الدين في المجتمعات ووصفهم باسم الخوارج، واستصدار فتاوى مضللة من علما السلطة في ذلك، ومن ثم استباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم بذلك؛ وصولاً إلى محاربة المشروع الإسلامي في المجتمع.

---

(8) ينظر: الاستطاعة، للشيخ محمد سرور، ص (11).

(9) ينظر: الاحتساب على الغلو المعاصر تأصيلاً وتنزيلًا، د. محمد يسري.

5- ضبط الآثار الناجمة عن مكافحة الغلو؛ وذلك بسبب لتطبيق الخاطئ للدين من جانب الغلاة، وارتكابهم العديد من الجرائم باسم الدين، وتشويه المسميات والأحكام الشرعية، مما يولد عادة ردود أفعال في اتجاه التفلت من الدين، والطعن والاستهزاء بأحكامه وشعائره التي كان يستخدمها الغلاة، مما يوجب على أهل العلم والدعوة تحري العدل والحق، وضبط حركة مكافحة الغلو بالتصدي لحالات التفلت من الدين والطعن فيه، وبيان المعاني الصحيحة للوسطية والاعتدال.

من أمثلة جهود أهل العلم في مكافحة الغلو مبكرًا:

تصدى أهل العلم لخطر الغلو مبكرًا؛ فبينوا أسباب الوقوع فيه، وكيفية الوقاية منه، وطرق علاجه، ومن أشهر هذه الجهود التي تعتبر مرجعًا لغالب من بحث فيه بعد ذلك:

1- كتاب: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية" عرض ونقد، د. عبد الرحمن اللويحق.

2- كتاب: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر: الأسباب - الآثار – العلاج، د. عبد الرحمن اللويحق.

3- كتاب: حديث حول الأحداث: ظاهرة الغلو والتكفير.. الأصول، والأسباب، والعلاج، د. ناصر العقل.

4- عدد من مؤلفات الشيخ محمد سرور، كالاستطاعة، والتبين والتوقف، والعديد من المقالات في مجلة السنة..

ثم تتابعت المؤلفات والدراسات..

لماذا المؤسسات العلمية؟

كثرت المستجدات والنوازل في عصرنا والتي تحتاج لنظر وتمحيص، وإيجاد حلول في التعامل معها، مع اتساع في العلوم مما لا يحيط به الفرد، وضعف عام في حملة العلم الشرعي عما كان عليه أسلافهم.

مما يستلزم استفراغ الجهد لفهمه هذه المستجدات والنوازل واستيعابها، والحكم عليها، وعدم الاستعجال والتسرع في إبداء الرأي فيها، فكان اللجوء للمؤسسات العلمية التي تجمع المختصين بالشريعة لبحث هذه النوازل، وتأسست في سبيل ذلك المجامع الفقهية، ولجان الفتوى التي أخذت على عاتقها إصدار الفتاوى والدراسات في المسائل المختلفة، ولا شك "أن الإجابات الصادرة عن مراكز بحثية بتضافر جهود مجموعة من الباحثين، وفق منهجية علمية شاملة ومتوازنة، تعتمد على الدليل والتأصيل العلمي أصوب وأسلم وأحكم من تلك التي تصدر عن أفراد من المفتين"[(10)].

ولهذا العمل سلف من عمل الصحابة رضي الله عنهم؛ حيث دأب الخلفاء الراشدون على جمع أهل العلم من الصحابة واستشارتهم في النوازل التي تقع بهم سياسية كانت، أم قضائية، أم فقهية، ويتشاورون في حلها حتى يصلوا لحكم تطمئن له نفوسهم.

(10) من مقدمة كتاب فتاوى الثورة السورية، هيئة الشام الإسلامية.

كما أن العمل المؤسسي عمومًا أدعى للقبول؛ حيث إنه يحصل لدى المتلقي نوع اطمئنان أن هذا الحكم الشرعي ليس نابعًا من رأي شخصي، أو شذوذ، أو مخالفة لأهل العلم.

وفي العصر الحالي يضاف إلى ما سبق: شمول المؤسسات العلمائية لكافة المدارس الإسلامية؛ مما يعني قبول منتجاتها من غالب فئات المجتمع المسلم.

دور المؤسسات الشرعية في مكافحة الغلو:

ولما سبق فإن دور المؤسسات الشرعية في مكافحة الغلو يمكن أن يكون في الأمور التالية:

1- التأصيل العلمي:

وذلك بنشر العلم الشرعي المستمد من نصوص القرآن والسنة، كما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعملوا به، في جميع أبواب الدين العقدية والفكرية والفقهية، وخاصة التي غابت عن التدريس والتعليم في العقود الأخيرة، وكثر فيها الجهل والانحراف، ومن استغلها أثارها الغلاة عن جهل وانحراف، ولبسوا على الناس دينهم فيها، كموضوعات الجهاد، والكفر والردة، ومسائل السياسة الشرعية، وبخاصة موضوعات اختيار الحاكم، والإنكار عليه، والإنكار عليه، وعزله.

مع بذل الجهد في تقريب هذه الموضوعات وتسهيلها؛ فإن الغلاة إنما يدخلون من باب الجهل بها وبأحكامها.

2- الاهتمام بالتوعية الفكرية في مسائل حقيقة الجهاد وأحكامه وضوابطه وغاياته الشرعية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة حوله، وحول المصطلحات الإسلامية الأخرى، وتعظيم الثوابت، والالتزام بآداب الاختلاف والحوار، وعدم التساهل والتسرع في التكفير والتبديع والتفسيق.

3- الكشف عن حقيقة رموز الغلاة، وبيان جهلهم، وبطلان تلبيساتهم واستدلالاتهم، ومخالفتهم لسبيل أهل العلم، وصولاً إلى إسقاط الاقتداء بهم.

مع الدفاع عن أهل العلم وطريقتهم، ببيان زيف وضلال استشهاد الغلاة بكلام أهل العلم أولئك، وفساد تنزيل كلامهم على غير معناه، أو في غير مناسبته، وبيان أنه لا سلف لهم فيما يذهبون إليه.

4- القرب من الشباب والانفتاح عليهم وحوارهم، والإجابة عن أسئلتهم واستشكالاتهم، وتخصيص وقت للتباحث معهم، وحل المشكلات التي تواجههم، وصولاً إلى تعليمهم طريقة التفكير السليم، وتصويب المفاهيم بالعلم الصحيح، ورد الشبهات المضللة والأهواء المهلكة.

والاهتمام بتخصيص وقت للجلوس معهم، وعدم الانشغال عنهم؛ فإن هذا البعد والجفاء من أهم أسباب دخول الغلاة بينهم، وتسلطهم على الشباب، والتقرب إليهم، ومخالطتهم، ومن ثم استمالتهم.

5- التصدي للنوازل السياسية والشرعية بفقه واع يجمع بين نصوص الشريعة ومتغيرات الواقع، ووضع الإجابات والحلول المناسبة لها بما يناسب العصر ولغته، وخاطب الشباب ويقنعهم.

6- إصدار الفتاوى والبحوث والفتاوى في الرد على شبهات الغلاة وتلبيساتهم في تفاصيل المسائل التي يثيرونها، وعدم الاكتفاء بالردود العامة، أو مجرد التحذير من خطرهم، وتحليل أسباب الوقوع في الغلو.

فلا بد من التحدث بالتفصيل عن مسائل التكفير وضوابطها، وحالات كون الحكم بغير ما أنزل الله كفرًا أكبر، وتكفير الحكومات والأنظمة وموظفيها، والولاء والبراء، ونحو ذلك [11].

7- مناقشة الغلاة وحوارهم، وعدم الاكتفاء بإصدار الفتاوى في حقهم أو الإخلال بها؛ فإن كثيرًا ممن يلتحق بهم إنما يلتحق عن تغرير وانخداع، مع جهل بالشرع، وما دام هناك اتفاق على الخضوع للحكم الشرعي فسيكون لهذه النقاشات وقع على العديد من هؤلاء المخدوعين واسترجاعهم للصف الإسلامي، كما حدث مع ابن عباس رضي الله عنه في مناظرته للخوارج ورجوع أكثرهم عن هذه الأفكار [12].

ويترتب على هذين الأمرين الأخيرين فوائد إضافية تتمثل في وقاية سائر الصف الإسلامي من الانخداع بشبهات الغلاة والالتحاق بصفوفهم، والوعي بحقيقة المعركة معهم وخطورتها.

8- عدم التهاون أو التراخي أو التأخر في مواجهة الغلاة، والمبادرة إلى بيان الحكم الشرعي في أفكارهم وأعمالهم، وما يلزم من التعامل مع تصرفاتهم وجماعاتهم.

وفي الوقت نفسه عدم السماح للمنافقين وأعداء الاسلام في استغلالهم في ذلك؛ فإن من العلماء من يمتنع من مواجهة الغلاة بحجة أنهم إخواننا، وأننا جميع مستهدفون، فلا يجوز الوقوف ضدهم وإلا كنا مع صف العدو ضد المسلمين.

ومنهم من يوظف جهوده -عمدًا أو سذاجة- لصالح أعداء الدعوة، ويبرر لنفسه أنه طالما كان يقابل الغلاة، فلا بأس أن يحاربهم ولو بالركون إلى الطغاة.

9- الاحتساب على الانحرافات الفكرية -غير الغلو- التي توجد في المجتمع، سواء كانت من جانب الأنظمة والحكومات، أو بعض حملة ودعاة الفكر المنحرف، وعدم الصمت عنها؛ فإن من أسباب اعتناق أفكار الغلو والالتحاق بجماعاتهم ردة الفعل على الانحرافات العقدية والفكرية المنتشرة في المجتمع، وعدم القدرة على إزالتها أو منعها [13].

---

(11) ينظر: شبهات تنظيم الدولة، عماد الدين خيتي، وكشف شبهات الغلاة، لحمود العمري، والانحرافات المعاصرة في مسائل الجهاد، د. راشد الزهراني.

(12) ينظر:

- مقال: مناقشة ابن عباس للخوارج.. دروس وعبر، د. معن عبد القادر.

- مقال: فوائد من مناظرة ابن عباس للخوارج، حسن عبد الحي.

(13) من أعظم معوقات مكافحة الغلو تلك الدعوات التي تخرج ردًا على الغلو وتحمل في طياتها مقادير متفاوتة من التراجع عن بعض أحكام الدين، أو تفريغها من محتواها، أو الطعن في ثوابته؛ تأثرًا بضغط الواقع المعاصر، أو بالنتاج الفكري التغريبي، والواجب تجاه هذه الدعوات مكافحتها والتصدي لها دينًا، ثم حماية للشباب من أن تستفزهم هذه الدعوات لمزيد من الغلو، أو تنتشلهم من انحراف الغلو إلى انحراف قد يكون أشد خطرًا.

من أمثلة مكافحة المؤسسات الرسمية للغلو [14]:

نشطت المؤسسات العلمائية في التصدي لفكر الغلو، حماية للمجتمع المسلم منه ومن آثاره، وتحريرًا لمعنى الغلو والفرق بينه وبين أحكام الإسلام الصحيحة بعد أن تعمدت العديد من المنظمات العالمية الخلط بين أفكار الغلاة وأحكام الإسلام، وتصنيف عدد من الجماعات والمؤسسات العاملة في الدعوة والتعليم ومقاومة المحتل بالإرهاب، ومن أبرز هذه الجهود:

أولًا: قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي:

1- قرار رقم 128 (14/2) بشأن حقوق الإنسان والعنف الدولي.

2- قرار رقم 154 (17/3) بشأن موقف الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب.

3- قرار رقم 163(18/1) بشأن معالم العودة إلى المنهج الحضاري في الإسلام.

4- قرار166(18/4) بشأن ظاهرة التخويف من الإسلام.

ثانيًا: قرارات وتوصيات المجمع الفقهي الإسلامي التابع لر ابطة العالم الإسلامي ومؤتمر اته:

1- بيان مكة المكرمة الصادر عن المجمع في دورته السادسة عشرة التي عقدت في الفترة 21-10/27/ 1422هـ الموافق ل 5-2002/1/10م.

البيان الختامي الصادر عن المؤتمر الإسلامي العالمي «الإسلام ومحاربة الإرهاب» في مكة المكرمة في الفترة من3-1436/5/6هـ التي يوافقها22-2015/2/25م.

ثالثًا: جهود ر ابطة العالم الإسلامي:

1- عقد لقاءات تنسيقية مع الجهات المتخصصة في الأمة الإسلامية، لوضع خطط عملية تتصدى للفكر المنحرف.

2- تكوين وفود من العلماء والمتخصصين لزيارة البلدان المتضررة من الإرهاب، ومقابلة مسؤوليها، وشرح الرؤية الإسلامية حول علاج هذه الظاهرة.

3- التعاون مع الجامعات الإسلامية ومراكز الأبحاث من أجل ضبط المفاهيم الملتبسة، وتوفير مادة علمية رصينة تكون بين أيدي الخطباء والدعاة والمعنيين بالشباب.

4- إنشاء هيئة عالمية لمكافحة الإرهاب تابعة لرابطة العالم الإسلامي، تتولى دراسة الإرهاب، وتحليل دوافعه وأسبابه، ونشر الدراسات البحثية حوله، واقتراح البرامج العملية التي تسهم في الوقاية منه، وتنفيذها، والتنسيق في ذلك مع المؤسسات المختصة.

(14) ينظر: دور المجامع العلمية والثقافية في التصدي للتطرف.. دراسة فقهية تحليلية، أ.د علي قرة داغي.

5- أصدر المؤتمر «بلاغ مكة المكرمة»، الذي اشتمل على خمس رسائل وجهها إلى كل من قادة الأمة المسلمة وعلمائها وإعلامها وشبابها، وإلى العالم أجمع، وذلك أداء لواجب النصح للأمة وللإنسانية، وأملاً في إخراج العالم من الواقع المرير.

وتتمثل ثمرة جهود هذه المؤتمرات والقرارات في الجانب الرسمي الدولي، كما أن لها تأثيرًا على شريحة من المجتمع التي تستمع لخطاب المؤسسات شبه الرسمية.

المؤسسات العلمية في الثورة السورية نموذجًا:

تصدى لبيان الأحكام الشرعية في نوازل الثورة السورية عدد من الجهات العلمية، وكان لفتاواها وبياناتها أثر ومصداقية، نظرًا لما عرفت به من استقلالية، واعتدال، واحتضانها للثورة والعمل على ترشيدها، وإرشادها بالفتاوى والمواد العلمية المتنوعة، ثم نشأ بينها تنسيق للعمل المشترك توج بمجلس للتنسيق بينها، وهي: هيئة الشام الإسلامية، ورابطة العلماء السوريين، ورابطة علماء الشام، والهيئة العامة للعلماء المسلمين في سورية، وجبهة علماء حلب، والملتقى الإسلامي السوري، ورابطة خطباء الشام.

فكان من باكورة فتاواها: "هل القتال القائم بين الكتائب المجاهدة وتنظيم (الدولة) قتال فتنة؟" والتي صدرت بتاريخ: الأحد 16 ربيع الآخر 1435هـ، الموافق 2014/2/16م، وقد مثلت حينها علامة مفصلية في التعامل مع جماعات الغلاة، من حيث المفاصلة الفكرية، والكشف عن خطورة مشروعها، وأنه ضمن الصف المعادي للثورة، وبيان الحكم الشرعي للتعامل معها.

نشأة المجلس الإسلامي السوري:

وبتضافر الجهود تأسس المجلس الإسلامي السوري من غالب المؤسسات الشرعية في سوريا، ومثل مختلف مدارسها الفكرية، وكان من أهم مميزات هذا المجلس: استقلال قراره وعدم خضوعه أو ارتهانه لمؤسسة سياسية، أو دولية ونحو ذلك.

فكان من أهم ما عمل عليه المجلس الإسلامي في التعامل مع الغلاة:

1- الوعي التام بفكر الغلاة ومشاريعهم، وخطورة ذلك على المجتمع السوري خصوصًا والإسلامي عمومًا: شرعيا، واجتماعيًا، ومستقبل البلاد، ووضح الرؤية في الموقف منها، ومن ذلك: الورشة التي عقدها مركز الدراسات في المجلس بعنوان (مناهضة الغلو)، والتي أقرت عدة توصيات لمكافحة فكر الغلو، ومثلت اتفاق المجلس على الوعي بهذا الخطر وضرورة مكافحته.

2- المفاصلة التامة مع هذه المشاريع، مع الحكمة والتدرج في التعامل معها.

3- إصدار الفتاوى والبيانات في أحكام التعامل مع هذه الجماعات، وما ينتج عنها من مستجدات.

4- عقد الندوات العلمية، واللقاءات مع مختلف قوى الثورة، والتوعية بخطر هذه الجماعات وحقيقتها.

وقد بلغت مجموع فتاواه في مختلف المسائل المتعلقة بجماعات الغلو (7) فتاوى من أصل (41) فتوى، شملت أحكام التعامل مع هذه الجماعات وآثارها، كما أصدر حوالي (30) بيانًا من أصل (170) بيانًا في التعليق على تصرفات الغلاة وما يتعلق بها من أحداث الثورة.

وقد لقيت هذه الفتاوى والبيانات القبول من مختلف قوى الثورة، بصفتها الجامعة لمختلف المؤسسات العلمية السورية ومشايخها، والمؤتمنة على تمثيل الثورة شرعيًا.

ومن ذلك:

1- كانت أولى فتاواه (فتوى حول تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام)، وبيان (حول بطلان إعلان الخلافة من قِبل تنظيم دولة العراق والشام) والتي نزعت الشرعية عن التنظيم، ووصفته بالخروج، وأفتى بقتالهم لردع عدوانهم، وقد كان لها صدى كبير في الإعلام الداخلي والخارجي.

2- كما كانت فتوى (فتوى أحكام الزواج من مجهول الاسم والنسب) في التحذير من تزويج مجهولي الاسم والنسب وخطر ذلك على المكون الاجتماعي، وغالب هؤلاء من الغلاة.

3- وفي سبيل ضبط بوصلة التعامل مع الغلاة، وضمان عدم انحراف التعامل معهم إلى الاعتداء المحرم صدرت فتاوى (حول عصمة أموال وأنفس أهالي مقاتلي تنظيم الدولة)، و(فتوى التعامل مع الخوارج الفارين من أرض المعارك)، و(حكم القتال بين تنظيم الدولة والميليشيات الكردية).

3- كما صدر في باب السياسة الشرعية فتوى (فتوى حول حكم التنسيق مع الحكومة التركية في القضاء على تنظيم "داعش")، وبيان (بشأن القتال مع القوات التركية في عملية درع الفرات).

4- وفي التصدي لفكر القاعدة وتصرفاتها بمسمياتها المختلفة صدرت عدة فتاوى متدرجة في بيان أحكام تصرفاتها، كفتوى (التغلب بين الفصائل)، وبيان (بشأن ممارسات بعض الفصائل عَقب مؤتمر الرياض).، وبيان (بيان بشأن جرائم الغلاة وعدوانهم على المجاهدين)، إلى أن صدر أخيرًا بيان (بيان حول وجوب قتال بغاة الجولاني والدعوة الى استعادة أصالة الثورة).

5- وفي تأييد المشاريع الثورية والمعتدلة صدرت بيانات (بيان ميثاق الشرف للفصائل المقاتلة)، و(بيان مباركة وتأييد إعلان ميثاق "مجلس قيادة الثورة السورية").

6- وفي جانب ترشيد الثورة وحركة مكافحة الغلو صدر بيان (بشأن ما تم نشره في مجلة "طلعنا عالحرية").

وقد كان لاجتماع المؤسسات الشرعية في المجلس أبلغ الأثر في عدم خروج أحد من أهل العلم الموثوقين بما يخالف المجلس في موقفه من الغلاة، مما أفقد الغلاة أي دعم شرعي من مرجع علمي معروف.

ويلحظ: في الحالة السورية أثر اجتماع كلمة المؤسسة الدينية على الموقف من الغلاة، وعدم واستفادة الغلاة من وجود بعض المؤيدين لهم أو الصامتين عن الغلاة، في شق صف المؤسسة أو غموض أو ضعف موقفها، كما حصل في أماكن أخرى من بلاد العالم الإسلامي.

الأثر العكسي للمؤسسات التابعة للأنظمة على الغلو والغلاة:

صادرت الدولة الحديثة استقلال المؤسسات المجتمعية عمومًا وعلى الخصوص المؤسسة الدينية، فعملت على ضمها تحت جناحها وتولية من يوافقها في مناصب تلك المؤسسات، ومن جهتها لم تدخر تلك المؤسسات الرسمية جهدًا في مساندة تلك الأنظمة والوقوف إلى جانبها.

وقد كان لموقف العديد من المؤسسات الدينية الرسمية مو اقف أسهمت في استفزاز الغلو والغلاة، ومن ذلك:

1- الوقوف إلى جانب الأنظمة الاستبدادية، وإضفاء المشروعية عليها، والحكم بصحة طريقة تولي الحكم فيها، وتصحيح تصرفاتها، وأضافت طابعًا من القداسة على الحكام وقراراتهم، وجعلت من يخالفهم عاصيًا خارجًا عن جماعة المسلمين، يستباح دمه وماله لمجرد معارضته لهذه الأنظمة أو عدم موافقتها في كل ما تذهب إليه، كما في وقوف المؤسسة الدينية التابعة للنظام السوري مع النظام في تصنيفه لمختلف التيارات والجماعات الإسلامية المعارضة له بالإرهاب، ووصفهم بالخوارج، وتبرير ملاحقتهم وتصفيتهم[15].

2- عمدت العديد من تلك المؤسسات إلى موافقة بعض الأنظمة على ما اقترفته من مخالفات صريحة للشريعة ومعاداة لها ولحملتها، وتطويع أحكام الدين لرغباتها، ضاربة عرض الحائط بأحكام الشريعة الإسلامية ومعلنة العداء معها.

كما تنكرت لقضايا المسلمين عمومًا، ولم تنظر لها بعين الأخوة الإسلامية، وإنما من خلال عين السلطة الحاكمة.

3- السكوت عن مشاريع الغلاة التي تفتعلها الأنظمة للإيقاع بالشباب المتدين، كما حصل من المؤسسة الدينية التابعة للنظام السوري في السكوت عن فتنة أبي القعقاع أيام الحرب على العراق، فكان أن انضم آلاف الشباب لهذه الجماعات بتحريض أبي القعقاع، وجهل منهم بهذه الجماعات ومشاريعها.

وكما ثبت من تورط الأنظمة في كل من مصر والجزائر والعراق بهذه الأمور من قبل.

4- الوقوف إلى جانب المحتل الأجنبي وتبرير تدخله، ونفي جرائمه، وخلع ألقاب البطولة عليه، كما حدث من المؤسسة الدينية التابعة للنظام السوري في الموقف من المليشيات الشيعية والقوات الروسية.

لا شك أن الفتنة بهذه المؤسسات ومواقفها المتخاذلة، وعمالتها للأنظمة الحاكمة من أكبر الفتن التي تدفع الشباب باعتناق أفكار الغلو والتكفير.

وقد أدت هذه التصرفات بكثير من الشباب إلى:

1- البعد عن أحكام الدين الصحيح، والجهل به، مما جعلهم عرضة لأن تتخطفهم شبهات الغلاة حينما ظهرت وانتشرت لضعف تأصيلهم العلمي والشرعي.

(15) ينظر: الجهاد في الإسلام للبوطي، والذي هاجم في الجماعات الإسلامية عمومًا، واحتفى به النظام، وعمل على طبعه وتوزيعه، بالإضافة لموقف البوطي من الثورة السورية التي لا تخفى على متابع.

2- ردود الفعل الناقمة من بعض الشباب على موقف هؤلاء المشايخ مما يؤدي إلى اعتناق فكر الغلو والتكفير.

وبالوقوف على أدبيات هذه الجماعات يظهر أثر ذلك في كثرة التخوين والتكفير لهذه المؤسسات والقائمين عليها، بل تخصيص جز كبير من هذه الأدبيات مؤلفات أو كلمات مسموعة أو مرئية في هذه المؤسسات والقائمين عليها، وتحميلهم مسؤولية تثبيت دعائم أركان الحكومات الاستبدادية [16].

فقد كانت هذه المواقف من المؤسسات الدينية الرسمية إلى زيادة فتنة جماعات الغلاة؛ فقد عمموا حكم الخيانة والردة على كل من تعامل مع هذه الحكومات والأنظمة واعتبروا موقفه مؤيدًا وداعمًا لحكم الطاغوت حتى وإن لم يكن من المؤيدين لها أو العاملين معها.

كما عمموا هذه الأحكام على كل من لم يوافقهم من حملة العلم الشرعي، فاستهدفوهم بالإسقاط والتصفية، فكانوا بذلك سببًا في زيادة فتنة الغلاة بذلك.

رؤية لتفعيل وتعزيز المرجعية الشرعية في مكافحة الغلو:

من خلال ما سبق يمكن التوصية بعدة أمور لتفعيل وتعزيز دور المرجعيات الشرعية في مكافحة الغلو:

1- استقلال المرجعية في القرار، وعدم صدورها عن مصالح أو تأثيرات سياسية.

2- شمولها أطياف المدارس الإسلامية لضمان القبول من كافة شرائح المجتمع.

3- الحرص على إبراز القدوات الصالحة من أهل العلم، للقيام بالنصح وبيان أحكام الدين.

4- بذل الجهد في نشر العلم الصحيح، وتقريبه لعامة الناس، وتحقيق الأمن الفكري للمجتمع من الوقوع في الشبهات.

5- حرص العلماء وطلبة العلم على الحضور الميداني، وأن يكونوا قريبين من الشباب.

والحمد لله رب العالمين.

(16) ينظر: تصور الغلاة للدولة في الإسلام، للاطلاع على موقف الغلاة من أهل العلم عمومًا، والمؤلفات في ذلك.

الورقة الثانية: معايير لتمييز جماعات المعارضة السورية المسلحة المتطرفة عن المعتدلة موجهة لصناع القرار

د. محمد سالم[17]

مقدمة:

تشهد معاني وتوصيفات التطرف والارهاب حالة من السيولة الشديدة والغموض (المتعمد منه أحياناً وغير المتعمد)، حيث كثيراً ما يتم تعميم تلك التوصيفات دون الرجوع إلى معايير واضحة يتم قياس مدى التطرف ودرجاته المختلفة على أساسها، وتبدو تلك الحالة أكثر وضوحاً في البلدان العربية والإسلامية، خاصة في ظل استمرار غياب الحريات وسيادة القانون، حيث تتعمد بعض السلطات تعميم وتوسعة مفاهيم التطرف والارهاب وإبقاءها مفتوحة وقابلة للتفسير التعددي بهدف استخدامها ضد مختلف شرائح المعارضين.

في الحالة السورية، ارتكزت ادعاءات النظام على محاربة الارهاب والتطرف منذ الأيام الأولى للاحتجاجات السلمية، ثم استمر النظام مع حلفائه الروس والايرانيين بتسويق "البروباغندا" الاعلامية التي تصنف مختلف فصائل المعارضة باعتبارها فصائل إسلامية متطرفة إرهابية.

تهدف هذه الورقة إلى توضيح معاني التطرف و الغلو في السياق السوري دون اقتطاعه من السياق الاقليمي والدولي العام، ومحاولة وضع معايير واضحة ومحددة لتمييز الفصائل المتطرفة عن الفصائل المعتدلة في صفوف المعارضة السورية[18] من خلال تصنيفها وفقاً لتلك المعايير استقراءً من تجربة السنوات الماضية من عمر الثورة السورية ، ثم تسليط الضوء على تحولات بعض الفصائل نحو الاعتدال، والتعرف على العوامل التي أسهمت في تلك التحولات، ودرجة الاعتدال الذي وصلت إليه، إضافة إلى محاولة استكشاف ملامح ردود الأفعال المتطرفة لدى التيارات الأخرى غير الإسلامية، والتي يمكن أن تسهم في تنشيط دورة حياة الغلو والتطرف من خلال تهيئة البيئة الحاضنة.

أولاً: في مفاهيم ومعاني الغلو والتطرف:

بعيداً عن الإطالة في تفصيل المصطلحات وتأصيلها لغوياً وسياسياً أو شرعياً، تتقارب معاني التطرف والغلو بشكل عام من حيث أنها خلاف التوسط والاعتدال المحمود والمطلوب، وبينما نجد استخداماً واضحاً لمصطلح "الغلو" في الشريعة الإسلامية[19]، لا نجد استخداماً لكلمة التطرف فيها بشكل واضح، فهو مصطلح حديث، ومفهومه نسبي يختلف اختلافاً كبيراً باختلاف الوضع السياسي زماناً ومكاناً، حيث تختلف تبعاً لها معايير الوسطية والاعتدال[20]، على عكس مفهوم الغلو الذي غالباً ما يمسّ أو يرتبط بالقضايا الدينية في الإسلام.

---

[17] باحث ومدير العلاقات وتطوير الأعمال في مركز الحوار السوري، كتب عدة أوراق متعلقة بالموضوع لمركز الحوار السوري، ومراكز سورية أخرى، كما شارك بورقة متعلقة بالموضوع في المؤتمر الدولي للسلفية الذي عقده منتدى العلاقات العربية والدولية.

[18] سيأتي تحديد نطاق المعايير لاحقاً، وهنا لابد من الإشارة، إلا أنها خاصة بحالة المعارضة السورية وصفوفها، ولكن ذلك لا يعني وجود كثير من التطرف، بل أشده عنفاً وإجراماً في الجماعات المؤيدة للنظام، سواء منها المليشيات العابرة للحدود، كمختلف المليشيات العراقية واللبنانية الشيعية، او حتى المليشيات المحلية التي شاركت في عمليات القتل والتهجير ضد السكان المحليين من الحاضنة المؤيدة للمعارضة السورية، أو حتى من المليشيات الانفصالية التي اتهمت بعمليات مماثلة، وهو يحتاج بحثاً خاصاً.

[19] ورد المصطلح في القرآن عدة مرات كقوله تعالى في سورة النساء **"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ"**، وفي السنة النبوية بقوله صلى الله عليه وسلم **"إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"** رواه ابن ماجة.

[20] يسهب د. عزمي بشارة في بحث له في توضيح المعاني السائدة للتطرف في الوقت الحالي من خلال سرد البعد التاريخي للمصطلح، ويؤكد على "أن التصنيف قد فقد الكثير من شرعيته في منعطفات تاريخية عدة من خلال استبعاد تصنيف الدول بالتطرف والارهاب، واقتصار المفهوم على الجماعات والتنظيمات، فالدولة لا تصبح متطرفة ولو قامت بقتل المدنيين في فيتنام والعراق وغزة ولبنان، فالدولة القادرة على القصف من الجو هي التي تصنف

فالغلو كما عرفه عدد من علماء الشريعة الإسلامية، هو "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"، أو "مجاوزة الحد في أن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك"[21]، وهو ينطبق بشكل واضح– في سياق مرتبط فيما نبحث فيه - على حالة تاريخية معروفة في الإسلام، وهي حالة "الخوارج" المغالين في التكفير، ليلتقي هذا المفهوم الديني الشرعي الأصل مع المفهوم السياسي "التطرف" في ظروف سياسية معينة مؤخراً، رافقت تحول بعض جماعات الغلو نحو " الجهاد العالمي"، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول في العام 2001، ليتم الحديث بعدها عن التطرف الإسلامي، والتطرف الإسلامي العنيف الذي يتداخل مع معاني الإرهاب، والذي يعني القيام بتنفيذ أعمال مادية محسوسة عنفية انطلاقاً من معتقدات فكرية متطرفة[22]، وفي حالة التطرف الإسلامي العنيف، فيعني الإرهاب بالتالي القيام بالأعمال العنفية من أطراف معينة وفق دوافع مبنية على ما يعتبر "معتقدات دينية إسلامية متطرفة"[23]، وهي – المعتقدات المتطرفة - قضايا خلافية وذات سيولة، ومحل جدل كبير عموماً بسبب تسييسها من قبل الأنظمة والحكومات، حيث فقدت الكثير من المرجعيات الشرعية الإسلامية المعتبرة استقلاليتها وتأثيرها وشرعيتها لدى العديد من الشرائح بسبب المحاولات الناجحة للكثير من أنظمة الحكم التدخل في عملها لتجييرها لتعزيز شرعية السلطة الحاكمة[24].

ثانياً: نطاق المعايير المطلوبة وسياقها:

الآخر ارهابياً ومتطرفاً" - بحكم الواقع – "ويخرج بالتالي من هذا الحقل الدلالي للتطرف(وصنيعته الارهاب) الجيوش التي تقوم بتدمير واسع وأعمال قتل جماعي ضد المدنيين بحجة انها لا تستهدف المدنيين، بل الخصم الذي يسكن بين المدنيين، ويتخذ منهم دروعاً بشرية"، وهنا لا بد من التأكيد على أن التعريف بهذا الشكل، والتركيز على تجريم الجماعات دون الدول هو أحد مسببات التطرف، حيث تستند بروباغندا "الجهاديين" بشكل كبير إلى هذه الجزئية، ويلاحظ ذلك واضحاً في خطابات "بن لادن" بعد عمليات الحادي عشر من أيلول وتنفيذ التحالف لعملية عسكرية كبيرة على أفغانستان، ثم يضع بشارة تعريفاً استنتاجياً للتطرف بمعناه السياسي وفق التالي: " المتطرف هو ذلك الذي يرفض التسويات التي تُمكن من العيش المشترك، و الذي يعلم أن رفضه هذا قد يؤدي الى حرب اهلية"، ولاشك أن هذا التعريف ينطبق مثلاً بشكل واضح على نظام الأسد، في حين أن المجتمع الدولي، ورغم معرفته بمستويات جرائم النظام الغير مسبوقة، فهو لا يشمله بتوصيف التطرف باعتباره – فيما يبدو - جزءاً من الدولة، المفهوم الذي تحدثنا عنه أعلاه، كما لا يشمل تصنيف التطرف بشكل واضح المليشيات العابرة للحدود التي ساندت النظام السوري، ينظر: عزمي بشاره، "في ما يسمى التطرف"، **سياسات عربية**، دورية محكمة تعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية والسياسات العامة، العدد 14 ايار 2015.

حيث تركز القرارات الأممية على تصنيف تنظيم "داعش" وجبهة النصرة بشكل أساسي، ولا يساعد هذا بالتأكيد على مواجهه التطرف لوجود هذه المعايير المختلة وغير الدقيقة.

[21] هما تعريفان لابن حجر العسقلاني وابن تيمية على التتالي، ينظر" الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق".

[22] "في ما يسمى التطرف"، عزمي بشارة، المرجع السابق.

[23] "في ما يسمى التطرف"، عزمي بشارة، المرجع السابق.

[24] ولعل ذلك من جملة آثار قيام الدولة الحديثة وتغولها على مؤسسات المجتمع، ومنها المؤسسة الدينية، حيث "فقد الشرع تدرجياً شيئاً من استقلاليته التي حافظ عليها في ظل النظام الكلاسيكي الذي كان العلماء فيه مستقلين ما لم يتقلدوا منصباً قضائياً"، أنظر كتاب **"سقوط الدولة الإسلامية ونهوضها** ، **نوح فيلدمان**، ص 89، وازداد هذا الأمر سوءاً في ظل الأنظمة الأكثر دكتاتورية، كما كان الحال في نظام عبد الناصر، الذي قام بتأميم الكثير من الموارد، بما فيها الأوقاف التابعة للأزهر، مما قلص من استقلاليته ومرجعيته في مصر، ترافق ذلك مع التعذيب في السجون الذي أدى إلى إفراز أولى حالات الغلو وامتدادها إلى الأقطار الأخرى كما هو معروف، وتمتلئ كتب العلماء المسلمين بالتحذير من الدخول على السلاطين خشية فقدانهم للاستقلالية والمرجعية في نظر الناس، يمكن الاطلاع أكثر حول تسييس الأزهر في:

Al-Azhar: beyond the politics of state patronage, RASHIED OMAR, University of Notre Dame.

الهدف الأساسي للورقة هو محاولة وضع معايير لتمييز جماعات المعارضة السورية المسلحة المعتدلة عن المتطرفة، وذلك من خلال استقراء التجربة السورية منذ انطلاقة الثورة السورية حتى تاريخه[25]، والمخاطبون بهذه المعايير هم صناع القرار[26] على المستويات المحلية والاقليمية والدولية عموماً، وبالتالي، لا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار البناء على أرضية مشتركة مع أصحاب المصلحة[27] عموماً، واعتماد مبادئ ومعايير مناسبة لصناع القرار، ونظراً لاختلاف صناع القرار المذكورين أنفسهم على تلك المبادئ والمعايير على المستوى الاقليمي والدولي، يؤخذ بعين الاعتبار انتماء العديد من جماعات المعارضة المسلحة إلى قوى الثورة والمعارضة السورية، والتي اكتسبت شرعية سياسية نسبية في المحافل الدولية كطرف مفاوض ذو أهمية في تحديد مصير سورية، وبالتالي، لا تدخل في الاعتبار معايير ومبادئ صناع القرار الذين يعمّمون توصيفات التطرف والإرهاب على جماعات المعارضة السورية لدى محاولة وضع المعايير.

ويمكن إجمال محددات المعايير المطلوبة لتحديد التطرف في حالتنا المحددة بما يلي:

1) اعتبار معاني الغلو الديني بالمعنى الديني الإسلامي، وفق ما هو متفق عليه بين المرجعيات الدينية المستقلة، ولأن الحديث في الواقع السوري، وحتى لا يتشعب بنا البحث، سنعتمد على المجلس الإسلامي السوري كونه يمثل مرجعية جامعة في الحالة السورية.
2) الوثائق التوافقية لقوى الثورة والمعارضة السورية، ويشمل ذلك المبادئ الدستورية التي لا خلاف عليها عموماً بين السوريين، كوحدة الأراضي السورية واستقلالية سورية، وكمبدأ المواطنة وحقوقها المتساوية أمام القانون[28].
3) ما هو متفق عليه عموماً بين السوريين ومرجعياتهم الدينية من القوانين والتشريعات الدولية، ومواثيق الهيئات والمؤسسات التي انضمت ووقعت عليها الدولة السورية قبل تغول نظام البعث عليها، كجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي (المؤتمر الإسلامي سابقاً)، والأمم المتحدة.

ثالثاً: معايير قياس التطرف لتمييز جماعات المعارضة المعتدلة عن المتطرفة:

ينتشر بين بعض الدوائر الأمنية القريبة من بعض الساسة من صناع القرار بعض التعميمات غير الدقيقة، والتي يعتبرونها معايير للحكم على تطرف الفصائل، كاستخدام التعابير الإسلامية، أو التكبيرات في المعارك، أو استخدام اللثام في حالات معينة، وإطلاق اللحى، واستخدام الكنى (خاصة الإسلامية منها)، واستخدام أسماء تاريخية إسلامية للألوية والكتائب، إلى آخر ذلك مما يمكن اعتباره معايير مضللة وغير دقيقة[29] في تحديد الجماعات المتطرفة.

---

[25] خلال السنوات السابقة للثورة السورية، ظهرت العديد من الفصائل التي انتمت إلى قوى الثورة والمعارضة، والكثير منها تبنى ادبيات معينة، ودخل في تحالفات ومارس العمل السياسي، والمقصود بالتالي أن وضع المعايير تم بناء على المراقبة والمتابعة والتحليل والاستقراء والدراسة لمختلف تلك الفصائل خلال السنوات الماضية.

[26] والمقصود بهم كل من يحتاج إلى معلومات لاتخاذ قرارات معينة بناء عليها من الفاعلين الحكوميين أو غير الحكوميين من أصحاب المصالح في المناطق المختلفة التي يمكن أن تنشط فيها الجماعات محل البحث، كمسؤولي المنظمات الانسانية أو منظمات المجتمع الدولي المحلية أو الدولية، والمسؤولين السياسيين أو العسكريين لكيانات المعارضة السورية، ومن يشابههم ممن يهمه الأمر من المؤسسات الاقليمية والدولية.

[27] والمقصود بهم مختلف من يُقيّم أو يتم تقييمه أو يهتم بالمعايير المذكورة وتطبيقاتها، كصناع القرار على تنوعهم، إضافة إلى مختلف الكيانات الوطنية السورية الفاعلة، والتي قد تستخدم تلك المعايير لتقييم جماعات المعارضة المختلفة، أو التي يتم تقييمها بناء على تلك المعايير.

[28] الجدير بالذكر بأن هذا المبدأ مثلاً أكد عليه أيضاً المجلس الإسلامي السوري.

[29] رويت عدة ملاحظات تؤشر على ذلك، أحد ممثلي فصائل الجيش الحر في دير الزور، تم سؤاله من قبل خبراء أو صحفيين أجانب عن مدى اختلافهم عن تنظيم "داعش" بعد مشاهدتهم لمقاطع فديو لمقاتلي الفصيل مطلقين للحاهم، ومرددين لعبارات التكبير أثناء القتال.

وهنا لا بد من التأكيد على أن التطرف أمر نسبي، يمكن أن يزداد وينقص تبعاً لدرجة وجود الخاصية المنسوبة للتطرف فيه، وباعتبار أن مصطلح الغلو ديني واضح نسبياً مقارنة بسيولة مصطلح التطرف، يمكن إجمال معايير التطرف المبحوثة في حالتنا في مجموعتين رئيستين، معايير الغلو الديني (والتي غالباً ما تؤدي إلى التطرف العنيف أو العمليات الإرهابية أو تقبلهما)، ومعايير للتطرف السياسي، والتي تقيس مدى بعد المواقف السياسية عن الوسطية النسبية المعتبرة لقوى الثورة والمعارضة وعموم السوريين، وقياساً إلى ما هو شائع وسائغ سياسياً على المستويات المحلية والاقليمية والدولية[30]، مع محاولة تحليل دوافع التطرف في المواقف السياسية، وفيما إذا ما كان مرتبطاً بالغلو الديني من الناحية الفكرية، أو أنه بسبب مراعاة جماعات الغلو لأهداف سياسية أو فصائلية براغماتية مصلحية دون أن يكون بالضرورة مرتبطاً بالغلو الديني فكرياً أو مبنياً على قناعة عقدية.

بناء على ذلك، سوف يتم وضع تثقيل أو درجة لكل معيار، بحيث يأخذ الفصيل درجة معينة بناء على رؤيته المتبناة أو تصريحات قادته أو ممارساته، ليكون مجموع الدرجات من مئة درجة، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن هذا النموذج في التثقيل استرشادي وأولي قابل للتطوير أو للتغيير بحسب تغير السياق المتقلب بشكل كبير[31].

من الطبيعي أن يكون أغلب الغلاة -المتطرفين عقدياً ودينياً - متطرفين سياسياً، وغالباً ما يكون تطرفهم عنيفاً ومرتبطاً بالأعمال الارهابية، بينما لا ينطبق ذات الأمر على التطرف السياسي لدى فصائل المعارضة المسلحة السورية، والذي ارتبط برواسب الغلو الديني لدى بعضها، بينما ارتبط لدى أغلبها بقلة الوعي السياسي، وضعف فهم السياق الاقليمي والدولي لضعف الخبرة والتخصص، أو المبالغة في مراعاة المصالح الميدانية العسكرية على المدى القريب على حساب المصالح الاستراتيجية البعيدة المدى، أو بسبب دوافع أخرى.

معايير الغلو الديني:

وهي تقسم بدورها إلى معايير متعلقة بالفكر، وأخرى متعلقة بالممارسة.

أولاً: معايير الغلو المتعلقة بالفكر:

الغلو في التكفير:

ويحدده أهل الاختصاص من المتمكنين في العلم الشرعي في الهيئات والمرجعيات الشرعية الجامعة المستقلة، كحالة المجلس الإسلامي السوري والهيئات المنضوية تحته، ويدخل في هذا الباب تكفير المخالفين بمجرد الشبهات، والتكفير لكل من يدخل العملية السياسية، والمبالغة في مفاهيم الولاء والبراء، ورفع سوية الخلافات الصغيرة إلى مستوى الخلافات العقدية الكبيرة، بحيث يشمل التكفير مختلف حكام البلاد الإسلامية وأجهزتها العسكرية والأمنية والمسؤولين فيها، مع امتداد نسبي للتكفير – بحسب درجة الغلو – نحو المجتمعات والمرجعيات الشرعية، كتكفير جبهة النصرة للأركان والائتلاف السوريين التابعين

[30] خلال الندوة أفاد متخصص في العلوم والسياسة الشرعية بأن الاستخفاف بالمعايير السياسية والدولية للتصنيف ليس مجرد خلل سياسي، بل هو خلل شرعي نهى عنه الشرع الإسلامي باعتبار عدم تجنب هذه العوامل يعرض الجماعات وحاضنتها الشعبية للاستهداف والضغوطات مما هو منهي عنه شرعاً، وان لم توجد نصوص معينة دالة على بعض الأمور، إلا أنها تقدر من خلال فقه المصالح والمفاسد.

[31] من المعتاد في البحوث أن تقدم المعايير وتشرح ويدلل عليها لتستقر أولاً، ثم يُقاس عليها لاحقاً، ولذلك يمكن اعتبارها مقترحاً قابلاً للتطوير.

للمعارضة[32]، و تكفيرهم الحكومة التركية[33]، فضلاً عن تكفير تنظيم "داعش" لمختلف الفصائل والقوى السياسية والعسكرية السورية والقيام بمقاتلتهم "قتال ردّة"[34].

وبشكل عام، يبدو الغلو في التكفير متلازماً مع انتشار الفكر المسمّى ب "السلفية الجهادية"[35] مع ضرورة الإشارة إلى شدة التحفظ على نسبته للسلفية عند شرائح سلفية واسعة.

ولعل من المهم الإشارة إلى عظم الاختلاف الفكري وسرعة تطوره داخل هذا التيار نفسه[36]، فهو من أكثر التيارات هشاشة وقابلية للانقسام والتفرع، الأمر الذي ظهر جلياً في تسارع الأحداث في سورية والعراق بعد ولادة تنظيم "داعش" ثم إعلانهم للخلافة، وانفصال تنظيم جبهة النصرة عنهم، وتتباين جماعات الغلو في مستويات التكفير أو مستوى التصريح به، فيصرح تنظيم "داعش" بتكفير كل من خالفه، بما في ذلك تنظيم جبهة النصرة الذي انشقّ عنه، ويتقارب مع التنظيم في مستويات التكفير تنظيم جند الأقصى مثلاً، ولكنه أقل تصريحاً به (يتداخل تنظيم جند الأقصى[37] مع تنظيم الدولة بشكل كبير)، بينما تتفاوت جبهة النصرة وقادتها في الغلو في التكفير ومدى التصريح به تبعاً لآراء قادتها، وتبعاً لمصالحها وتموضعها في الساحة، حيث غيرت اسمها تبعاً لتموضعها إلى جبهة فتح الشام، ثم إلى هيئة تحرير الشام[38].

وينتج عملياً عن خصلة الغلو في التكفير غالباً استحلال دماء المخالفين، والقيام بالاعتداءات على مختلف الفصائل الأخرى، ويتم تعليل ذلك أيضاً وفق قاعدة شرعية يقومون بتحريف معانيها، وهي أن "قتال المرتدين مقدم على قتال الكفار الأصليين"[39].

وتقترح الورقة أن يعدّ هذا البند من أهم المعايير المعتبرة لخطورته وحساسيته، ليأخذ بالتالي الدرجة من 20 من مئة درجة في المقياس العام، المشار اليه آنفاً والموضح تفصيله لاحقاً.

2) عدم اعتبار المرجعيات الشرعية من غير مرجعياتهم الخاصة:

---

[32] قال الجولاني زعيم جبهة النصرة في كلمته "لينك رثيتني" التي رثى فيها "أبو خالد السوري"، موجهاً كلامه لتنظيم الدولة "نحن لا ننكر ان هناك جماعات ممن تقاتلكم قد وقعت في ردة وكفر كحال الاركان والائتلاف ومن يقوم على مشروع الجيش الوطني الذي يسعى من خلاله لتثبيت حكومة علمانية والقضاء على مشروع اسلامي راشد"، أنظر "أبو محمد الجولاني يرثي أبو خالد السوري ويكفر الائتلاف وهيئة الأركان، ويمهل " "داعش" " خمسة أيام لتوقف تجاوزاتها وتحتكم إلى الشرع"، **عكس السير**.

[33] أنظر تقرير "هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية"، **منظمة أزمات الدولية**.

[34] وهو أمر معروف مشهور من خلال التعبئة الإعلامية والفكرية التي كانت "داعش" تقوم بها في معاركها مع مختلف الفصائل، ويمكن الاطلاع على بيان واضح صادر عن الهيئة الشرعية للتنظيم يبين "ردة" قادة الجبهة الإسلامية بالتعيين، يمكن قراءة البيان هنا:
https://www.slideshare.net/greenbird7072/ss-38894201

وهو بيان طويل، يمكن الاطلاع على آخر صفحاته في المحلق أيضاً، والتي يصرحون فيها بكفر أعيان قادة الجبهة الإسلامية، وأن أتباعهم لهم نفس الحكم.

[35] ينظر فقرة " مبررات العنف عند الغلاة"، وفيها الحديث عن الغلو في التكفير لدى عموم التيار، تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام: عرض ونقد، عماد الدين خيتي، **موقع البيان**.

[36] رأى باحث مختص شرعي راجع الورقة بأن هذا في حد ذاته يمكن ان يكون معياراً لأنه أحد ميزات الغلاة، إلى جانب ميزات أخرى تنبع كلها من الغلو في الجانب العقدي، كاحتكار الحق ومشروعه، ومحاولة فرضه على الآخرين بالقوة.

[37] وهو التنظيم الذي نشأ على إثر اندلاع الخلاف بين البغدادي والجولاني وانقسام تنظيمهما إلى تنظيم "داعش" وتنظيم جبهة النصرة، حيث اعتزل مقاتلون الطرفين معتبرين القتال بينهما "قتال فتنة"، وأسسوا تنظيم "جند الأقصى"، أنظر "تنظيم جند الأقصى.. القصة الكاملة"، **موقع على بصيرة**.

[38] يمكن الاطلاع بشكل مفصل على تقلبات وتحولات خطاب النصرة في دراسة مركز عمران، الباحث أحمد أبا زيد، "تحولات خطاب تنظيم القاعدة في سورية"، **مركز عمران للدراسات**.

[39] كعادة الغلاة، يقتطعون حادثة معينة أو قاعدة شرعية ما من سياقها ليستفيدوا منها في بناء منظومة تفسيرهم الخاص للنصوص وإسقاطها على الواقع.

حيث تعتبر فصائل الغلو المرجعيات الشرعية المتعارف عليها مجرد علماء سلاطين وعلماء سوء لا اعتبار لآرائهم مسقطة إياهم، فضلاً عن وجود بعض جماعات الغلو التي تخرجهم من الدين الإسلامي أصلاً[40]، الأمر الذي أوجد تأثيراً واضحاً لمنظري "السلفية الجهادية" في الساحة السورية، ممن تعتبرهم تلك الفصائل من العلماء العاملين، أو العلماء المستقلين (من وجهة نظرهم)، حيث تشيد تلك الفصائل ببعض منظري تيار "السلفية الجهادية"[41] ممن يكتبون خاصة في موقع "منبر التوحيد والجهاد"[42]، والمواقع المشابهة، ويقترح لهذا المعيار 8 درجات من مئة لأهميته أيضاً.

3) عدم قبول مبادئ التدرج والمرحلية، والتوسع والغلو في نسخ آية السيف للصفح والتسامح:

حيث يرفضون الاستدلال بالتعامل الإسلامي والنبوي المتسامح مع المخالفين خلال فترات طويلة بحجة "نسخه بآية السيف"، ويرفضون بالتالي كل تسامح الدين الإسلامي، خاصة مع توسعهم وغلوهم في مسألة "آية السيف" على الرغم من الخلاف الوارد في تفسيرها عند أهل الاختصاص، خاصة بما يناقض فهمهم مما كتبه علماء الشريعة المعاصرون ، ويقوم الغلاة بالتالي عملياً بإلغاء الاستفادة من جوانب هامة ومراحل زمنية واسعة من حياة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته بسبب هذه الذريعة[43]، يقود ذلك إلى اعتبارهم القتال الطريقة الوحيدة للإصلاح غالباً[44]، ويقترح له 4 درجات.

4) رفض الو اقعية القطرية والاصرار على الخطاب العالمي:

من خلال رفض واقع وجود الدولة السورية، وهو متعلق برفض التدرج والمرحلية والواقعية، ورفض ما توافقت عليه الأطياف السورية المختلفة إبان توافقها على تأسيسها للدولة السورية "الآباء المؤسسون"، ومن بينهم عدد كبير من علماء الدين وممثلي التيارات الإسلامية، والحديث عن السعي المباشر لإمارات إسلامية في الشام أو الخلافة، وتكفير أو تضليل كل من يتبنى الخطاب الوطني باعتباره متبنياً لنهج" سايكس بيكو"[45]، ويقترح لهذا المعيار 4 درجات، ويمكن ملاحظة الاختلاف

---

[40] ينظر فقرة " تكفير وتخوين عامة علماء الأمة الإسلامية واستباحة دمائهم"، تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام: عرض ونقد، د. عماد الدين خيتي، **موقع البيان**، وكذلك فقرة "أهم أقوال زعماء تنظيم (الدولة) من خلال بياناتهم الرسمية"، كتاب "شبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها"، د. عماد الدين خيتي، **موقع على بصيرة**.

[41] كمثال على تدخل منظري السلفية الجهادية في الشؤون التفصيلية السياسية السورية، اعتبر المنظر الجهادي "إياد قنيبي" تأسيس الائتلاف الوطني السوري خطوة باتجاه محاربة المشروع الإسلامي في سورية، وأحدث مقطعه المصور وقتها ضجة كبيرة، وردوداً وبيانات من علماء سوريين، أنظر: محاربة المشروع الإسلامي بسوريا - د. إياد قنيبي.

[42] لاحقاً، حدثت خلافات حادة بين منظري التيار على إثر الانقسام الذي أدى إلى تشظي "دولة العراق والشام"، وجبهة النصرة لأهل الشام، حيث كتب الأثري أحد منظري "السلفية الجهادية" كتاباً بعنوان" مد الأيادي لبيعة البغدادي"، ليعارضه المقدسي وآخرون ويتطور الخلاف لاحقاً، ينظر" المقدسي يتحفظ على مبايعة البغدادي أميرا للمؤمنين"، **الجزيرة نت**.

[43] فصل عدد من العلماء المعاصرين في المسألة، كالدكتور يوسف القرضاوي والشيخ محمد سرور بن زين العابدين، أنظر" مفاهيم جهادية.. بحاجة لتصحيح الجدل حول آية السيف: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة"، **أرشيف إسلام أون لاين**، وكتاب الاستطاعة لمحمد سرور بن زين العابدين، ويمكن الاطلاع أيضاً على ردود نشرها السلفيون الجهاديون بعنوان " مراحل تشريع الجهاد؛ نسخ اللاحق منه السابق"، **منبر التوحيد والجهاد**.

[44] ويفرطون في الاستدلال بالأحاديث التي ورد فيها ذكر "الطائفة المقاتلة المنصورة"، ويؤكدون على أنها "جماعة مقاتلة"، كالحديث النبوي" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أمر الله"، خاصة أن لهذا الحديث مرويات كثيرة، وفيها أنهم في الشام وبيت المقدس وما شابه، حيث يستثمر الغلاة تلك الأحاديث بشكل كبير، ويهزأ الغلاة في كثير من الأحيان من منهجيات التدرج أو السلمية وما شابه، ينظر كلمة الناطق باسم "داعش"، العدناني، السلمية دين من؟.

[45] وكان هذا واضحاً من إعلان "داعش" لدولتهم في العراق والشام، ثم الخلافة، وحرص جبهة النصرة والتنظيمات المشابهة على التسمية بالشام دون تحديد سورية، حتى الجبهة الإسلامية التي لمحت إلى بعد عالمي في ميثاقها تم انتقادها من قبل أحد منظري السلفية الجهادية " إياد قنيبي" بأنها "مشروع وطني"، حيث يعتبر هذا الإصرار من باب الغلو الديني كونه يتجاوز فقه الإمكان والاستطاعة، فضلاً عن تضليل وتفسيق من يتبنى النهج الوطني، أنظر "القنيبي" والبحث عن الوسط الصعب"، **زمان الوصل**.

النسبي ضمن المعيار الواحد، فمثلاً، التصريح برفض واقع الدولة السورية، و"الكفر بسايكس بيكو" وما نتج عنه بشكل مبدئي يأخذ الدرجة التامة "4" (كما هو حال تنظيم "داعش" والتنظيمات المشابهة)، بينما الإشارة المتزايدة إلى البعد الأممي مع الإشارة إلى البعد الوطني يمكن أن يأخذ الرقم 1 أو2.

5) الغلو في قضايا الولاء والبراء:

وهو يتفرع عن الغلو في التكفير، والذي يصل إلى درجة الحرص المتواتر في أدبيات تلك الجماعات على إظهار العداوة أو حتى استعداء الدول والقوى العالمية والتحرش بها، واعتبار عدواتها صكّ براءة وبرهاناً على صحة النهج، واتهام أي جماعة أخرى يمكن أن يكون لها علاقة بدول عربية أو أجنبية ب "الردة والكفر لموالاتهم للكفار"[46]، حيث تخلط تلك الجماعات بين عقائد الولاء والبراء (المتضخمة لديها)، وبين الممارسات السياسية، مما يوجب لديها استعداء مختلف الأعداء (في الظاهر) طلباً لصحة العقيدة[47]، ويقترح لهذا المعيار 6 درجات.

6) تنزيل نصوص آخر الزمان على و اقعهم ومقاسهم:

حيث تكثر الجماعات المتطرفة من استخدام الأحاديث النبوية المتعلقة بآخر الزمان، وفي سورية تحديداً، أكثر مناصرو "داعش" من استخدامها، خاصة تلك المتعلقة بالشمال السوري وبلدة دابق، ولذلك كان لسيطرة التنظيم على البلدة الاستراتيجية أهمية خاصة بالنسبة لأنصاره، ثم كانت خيبة أمل كبرى لدى فقداتها بسهولة على يد قوات المعارضة السورية مدعومة بالجيش التركي[48]، ويعتبر الهوس بنبوءات آخر الزمان سمة عامة للمتطرفين من مختلف الأديان، وقد كتب العديد من المحللين والباحثين عن آثار الايمان بالنبوات التوراتية في الحرب على العراق وما بعدها، حيث تحاول مختلف جماعات الغلو المنتسبة للمسلمين السنة أو الشيعة، أو المسيحية واليهودية توظيف نبوءات آخر الزمان لأهدافها السياسية[49]، ويقترح لهذا المعيار 4 درجات أيضاً.

ثانياً: معايير الغلو المتعلقة بالممارسة:

من الطبيعي أن تنعكس عقائد الغلو سلوكاً يمارسه الغلاة، مع ذلك، يجب الانتباه إلى ضرورة النظر في تواتر الممارسة وكونها سياسة ممنهجة، وأنها أيضاً نابعة من قناعات الغلو[50]، ورغم ذلك، يعتبر وجودها مؤشراً ذا دلالة على وجود الغلو دون أن يكون كافياً للحكم به (ومن هنا يأتي تقدير وضع الدرجات في المؤشر)، ولعل أهمها:

---

[46] يقول العدناني الناطق الرسمي باسم تنظيم "داعش": "ولنسعرنّ القتال، ولنقاتلن جيوش الأرض قاطبة، حتى يكون الدين مئة بالمئة كله لله في جميع أرض الله، ولتجتمع علينا أمم الأرض قاطبة"، ينظر كتاب " "شبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها"، د. عماد الدين خيتي، **موقع على بصيرة**.

[47] قاتل تنظيم "داعش" فصيل عاصفة الشمال مبكراً بحجة اجتماع الفصيل مع السيناتور الأمريكي "جون ماكين"، ثم قاتلت جبهة النصرة معظم فصائل جيش الحر(حوالي 35 فصيل) تحت نفس الحجة، وإن لم تظهرها، وسواء كان قادة الفصيلين يعتقدون بهذه الأفكار، أو يقتصرون على استخدامها لتعبئة عناصرهم للقتال، فالنتيجة واحدة، وشهد مراقبون للأحداث كحذيفة عبد الله عزام وغيره على تعبئة جبهة النصرة لمقاتليها وفق اعتبار باقي الفصائل التي قاتلتها كمرتدين على الرغم من إنكار النصرة لذلك، ينظر: " حقيقة جبهة النصرة أو هيئة تحرير الشام"، **موقع على بصيرة**.

[48] خلال الندوة أفاد عضو في المكتب السياسي لأحد الفصائل السورية بأن الغلاة يجعلون من أخبار آخر الزمان أحكاماً شرعية لازمة في زمانهم، ويسعون إلى تحقيقه.

[49] ينظر على سبيل المثال في "أوهام الجهاديين: كيف التقت أحلام المحافظين الجدد و"داعش"؟"، وائل علي نصر الدين، و"آخر الزمان: نبوءات تقود الأحداث"، مريم تولتش، **موقع إضاءات**.

[50] خلال الندوة أفاد مسؤول في المكتب السياسي لإحدى الجماعات السورية بأن أغلب ما وقعت فيه العديد من الفصائل السورية كان غلواً أو تطرفاً في السلوك بسبب تأثيرات عديدة، دون أن يكون هناك غلو في التصورات، وهو ما وافقه فيه مسؤول في مكتب سياسي لفصيل آخر.

1) رفض الدخول في التحالفات على المستوى الوطني:

حيث ترفض فصائل الغلو الدخول مطلقاً في تحالفات سياسية مع الهيئات والمكونات الوطنية الأخرى لتحقيق الهدف المشترك العام[51]، وقد تتفاوت في درجة رفض الدخول في تحالفات دون التحالفات السياسية، كالتحالفات العسكرية المؤقتة (غرف العمليات)، فترفض "داعش" مثلاً دخول أي تحالف، ولا تقبل وجوداً آخر أصلاً لأي مكون، بينما تقبل جبهة النصرة الدخول في تحالفات عسكرية محدودة (غرف العمليات) مع فصائل إسلامية أخرى دون القبول بالدخول في أي تحالفات سياسية تحت مظلة وطنية أشمل، وغالباً ما تسعى للهيمنة على التحالف والاستفادة منه بشكل يفوق باقي الشركاء، ويقترح لهذا المعيار 4 درجات أيضاً.

2) رفض مختلف المبادرات السياسية والاتفاقات الدولية مبدئياً:

بما فيها التي يمكن أن تكون محل إجماع أو شبه إجماع وطني[52]، وتتفاوت فصائل الغلو في درجة الرفض والتعبير عنه، فبعضها يرفضها مع تكفير من يقبلها علناً وبشكل واضح، وبعضها يرفضها مع الطعن بمن يقبلها بشكل غير مباشر، وتتميز فصائل الغلو بالرفض المبدئي لهذه المبادرات انسجاماً مع غلوها العقدي، ولا يشمل هذا بالتالي فصائل أخرى قد تجتهد وتتطرف سياسياً وترفض مثل تلك المبادرات تحت تأثير دوافع أخرى غير الغلو الفكري، كتقدير المصالح منها أو ما شابه، كالتحفظ على بعض بنود القانون الدولي الانساني أو الاستهانة به وعدم احترامه، ويقترح له 5 درجات أيضاً، حيث تأخذ جماعات الغلو الدرجة الأعلى (5) باعتبارها ترفض كل تلك الاتفاقات بشكل مبدئي[53].

3) استخدام أعلام ور ايات "إسلامية" خاصة، وتعمد التمايز عن المجتمعات المحلية بالمظاهر والسمات:

حيث تتميز معظم جماعات الغلو برفض علم الاستقلال (الثورة السورية الجامع)، مع الإشارة إلى أنه راية استعمار أو راية عمية، مع الاكتفاء برايات فصائلية تحتوي كلمات وعبارات دينية، وتقوم جماعات أخرى بنفس الممارسة مراعاة لما شاع من جماعات الغلو دون أن يترافق ذلك مع دوافع فكرية، ويقترح له 4 درجات أيضاً.

4) كثرة انخراط الجنسيات الأجنبية "المهاجرين" وتوليها المسؤوليات في التنظيمات:

تبعاً لرفض الواقعية القطرية والإصرار على الخطاب العالمي، ورفض الحدود والدول الوطنية، واعتبارهم أن المهاجرين بذلوا جهوداً كبيرة وتركوا بلادهم لأجل "الجهاد وإعلاء كلمة الله"، يرافق ذلك غالباً استخدام الكنى مع اللقب باسم "المهاجر" أو باسم موطنه الأصلي، ويقترح له 6 درجات.

---

[51] اعتبرناه من الغلو الديني لأنه في الحالة السورية رفض مبدئي مبني على التصور العقدي المرتبط بالغلو، والذي يغلو في قضايا الولاء والبراء، ولأنه كذلك يقتصر من الناحية العملية على جماعات الغلو الديني عند التمحيص في الواقع السوري.

[52] تم اعتباره من الغلو الديني لأسباب مماثلة للمعيار السابق.

[53] خلال الندوة أشار باحث متخصص في القانون الدولي إلى استهانة بعض جماعات المعارضة السورية الأقرب للاعتدال ببعض قواعد القانون الدولي الإنساني، على الرغم من قبول تلك الجماعات إيفاد كوادرها للتدرب على ممارسات احترام القانون الدولي الانساني.

5) الانخراط في عمليات إرهاب الفصائل الأخرى وقتالها وعمليات الاغتيال:

وهي ممارسات ناتجة عن الغلو في تكفير المخالفين أو الافتاء بقتل المصلحة[54]، وهي من مظاهر الغلو الديني، وكثير من أدبيات جماعات الغلو تحضّ على قتال الفصائل الأخرى (وربما الأكثر قرباً منها) بحجة أنّ قتال المرتدين مقدم على قتال الكفار الأصليين، وذلك بعد اعتبار باقي المنافسين من الفصائل والكيانات الأخرى بمنزلة المرتدين، ويقترح له 6 درجات أيضاً.

6) المسارعة إلى إعلان الدول والإمارات على الناس وقتال المخالفين وادعاء تطبيق الشريعة:

كما فعلت "داعش" بإعلانها دولة العراق الإسلامية في العراق، ثم تحولها إلى الدولة الإسلامية في العراق والشام، ثم إعلانها الخلافة، وما مارسته فصائل أخرى من ممارسات جبرية تحت ذرائع تطبيق الشريعة على السكان المحليين بدرجات متفاوتة، ويقترح له 4 درجات أيضاً.

7) المبالغة في تنفيذ العمليات "الانتحارية" والتوسع في قاعدة "التترس":

رغم وجود أصل لقاعدة التترس في الفقه الإسلامي، إلا أنها جاءت في سياقات محددة وعلى نطاق ضيق، لكن فصائل الغلو تتمسك بكل ما من شأنه أن يعطيها حرية في تحقيق أهدافها ولو أدى ذلك إلى قتل الأبرياء من المدنيين[55]، ولذلك، كثيراً ما تنفذ فصائل الغلو تفجيراتها الانتحارية – والتي تسميها استشهادية[56] – في الأماكن العامة والأسواق[57]، ويقترح له 5 درجات.

معايير التطرف السياسي:

ونقصد بالتطرف السياسي في حالتنا هنا، تبني مواقف مخالفة للتوافق السياسي العام بين السوريين، دون أن يعني ذلك مطابقته للحق المفترض بالمعنى الديني، بل قد يكون مخالفاً للحق المفترض وفق المعاني الدينية[58].

و لا شكّ بأن معايير التطرف السياسي متحققة عند مختلف الفصائل التي تتبنى الغلو، ولكن، قد تتطرف فصائل أخرى لا تتبنى الغلو الديني سياسياً من خلال تبني أفكار أو القيام بممارسات معينة لأسباب عديدة ذات أبعاد فكرية (التأثر الجزئي بفكر الغلو) أو براغماتية مصلحية، كالسعي للتقرب لبعض فصائل الغلو بهدف تعزيز التنسيق العسكري الميداني، أو بهدف تجنب استعدائها، أو بهدف تجنب تأثر الكوادر البشرية لتلك الفصائل بالبروباغندا الخاصة بفصائل الغلو[59] التي تعتمد

---

[54] تكفر فصائل الغلو أغلب الفصائل من مخالفيهم، فيستبيحون قتلهم، وحتى تلك التي لا يشملها حكم الردة، فيمكن استهدافهم بالقتل تحت ذريعة "قتل المصلحة"، ينظر: " حذيفة عزام يتهم الجولاني بالقتل والكذب ويدعوه للمباهلة"، **عربي 21.**

[55] ينظر فقرة " قتل المسلمين بحجة التترس"، تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام: عرض ونقد، عماد الدين خيتي، **موقع البيان**.

[56] خلال الندوة انتقد عضو في مكتب سياسي لأحد الفصائل السورية، ومدير تنفيذي لأحد مراكز الأبحاث السياسية وضع مثل هذا المعيار لوجود خلال سياسي وفقهي حوله، ليجيب كاتب الورقة بأنه يتحدث عن الحالة السورية المحددة، والتي يتضح فيها بالفعل الارتباط بين الغلو وبين كثرة استخدام الجماعات للعنصر البشري في العمليات "الاستشهادية/الانتحارية" من وجهة نظره، حيث أنه وعلى الرغم من الخلاف الفقهي على شرعية العمليات "الانتحارية" أو الاستشهادية، فإن المعيار هنا يتجاوزه لأنه يتحدث عن المبالغة في هذه العمليات واتخاذها منهجية عامة حتى عند عدم الحاجة الواضحة لها، ودون اعتبار للشروط التي وضعها من العلماء من أجازها.

[57] كانت التفجيرات التي استهدفت مبنى أمنياً في حي القصاع المسيحي في دمشق من أوائل التفجيرات التي تبنتها جبهة النصرة في العام 2012، وذهب ضحية التفجيرات عدد من المواطنين الأبرياء، وقد أخبرت جبهة النصرة المسيحيين دون اعتذار أنهم ليسوا هم المستهدفين، وحذرت السوريين بأن عليهم تجنب السكن إلى جانب الفروع الأمنية وأوكار النظام، ينظر: هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية، **منظمة ازمات الدولية**.

[58] "ورغم مخالفته للحق بالمعنى الديني، فقد يعتبر حتى من الناحية الدينية الخيار الأفضل، من باب أن مفسدة التوافق العملي مع السواد الأعظم (في حال مخالفته للحق المفترض عند البعض) أقل سوءاً من مفسدة التفرق وذهاب الريح بسبب الاصرار العملي على الحق المفترض"، بحسب أحد الباحثين الشرعيين الذي حضروا الندوة التي ناقشت الورقة.

[59] خلال الندوة أشار باحث ومتخصص شرعي وقاض إلى أنه شهد حالة تحول في راية أحد كبرى الفصائل السورية في العام 2013 من علم الثورة إلى راية أخرى "إسلامية" رغبة من قيادة الفصيل في منع انشقاق العناصر وتأثرهم بدعاية فصائل الغلو.

المزايدات العقائدية بهدف التأثير على عقليات الشباب الأكثر قبولاً للمقاربات الحدية (الخير المطلق مقابل الشر المطلق – الإسلام والكفر ..الخ)[60] ، ومن المفيد هنا بأن نذكر بأننا نضع معايير التطرف السياسي كأحد معايير التطرف لأننا نتحدث عن فصائل عسكرية، وليس عن أحزاب سياسية، وهي بالتالي لديها القدرة والقابلية لتعارض ما ترفضه سياسياً بالسلاح، خاصة إذا ما لمحت إلى ذلك أو مارسته عملياً أو ما يشير إليه[61]، ولعل أهمها:

1) عدم تبني مبدأ المواطنة:

بسبب عدم النضوج السياسي[62]، أو التمسك بمفردات فقهية تعود لعصور ما قبل الدولة الحديثة مع اعتقاد وجوب الاعتماد عليها في العصر الحالي، أو بسبب التأثر الجزئي ببعض منظري فكر الغلو والتيارات "السلفية الجهادية"، اضطربت بعض الفصائل في إجاباتها على تصورها للعلاقة بين المسلمين السوريين وغيرهم، فكانت إجاباتها مبهمة أو عمومية دون الوضوح في تبني مفهوم المواطنة المتوافق عليه بين "الآباء المؤسسين" الأوائل للدولة السورية، والذين تنوعوا بين مختلف أطياف الشعب السوري، إسلاميين وغير إسلاميين[63]، وقد يكون من أسباب الموقف الحذر لتلك الفصائل وغيرها في هذا المفهوم توجساً من غلو فكري في الأطراف الأخرى، كالاعتداء على مسلمات الدين الإسلامي باسم المواطنة، أو ما يعتبرونه مغازلة للأقليات بامتيازات خاصة تفوق حقوقهم كمواطنين، ويقترح له 6 درجات.

2) الموقف من الأقليات:

من الطبيعي أن ينعكس الخطاب العالمي وعدم الاعتراف بالواقع الوطني على النظرة للأقليات عند جماعات الغلو، فيصرح بعضها بالتعامل مع أهل الكتاب منهم وفق أحكام الجزية وما يلحقها[64]، أو أحكام القتل والقتال للأقليات الأخرى (كالطائفة العلوية)، فيما تضطرب جماعات أخرى فلا تظهر موقفاً واضحاً لذات الأسباب السابقة التي تجعلها تضطرب في تبنيها لمفهوم المواطنة[65]، ويقترح له 4 درجات.

---

[60] تحرص تلك الجماعات على ترسيخ المقاربات الحدية، وتعتمد على بعض الأحاديث النبوية مقتطعة إياها من سياقها، كالحديث الذي يشير إلى فسطاطين، فسطاط ايمان لا كفر فيه، وفسطاط كفر لا إيمان فيه.

[61] خلال الندوة أشار باحث عربي مُطّلع على السياقات العربية المشابهة إلى وجود أحزاب "راديكالية" في سويسرا وغيرها من الدول الأوربية، وهو مما لا يعتبر بذات إشكاليات التطرف الدافع للعنف، فالمشكلة في التطرف عندما يدفع للعنف حتى في المقاومة المشروعة بحسب وصفه.

[62] رغم وجود دوافع دينية لتبني مواقف ضد مبدأ المواطنة، لكن تلك الدوافع الدينية لا تصنف ضمن الغلو الديني، كالدوافع التي دفعت لتبني الجماعات لما صنفناه معايير للغلو الديني، حيث يبقى الخلاف في موضوع المواطنة خلافاً سائغاً بين علماء الشريعة المعتبرين، ولكن الرأي المتحفظ عليه مرجوح من الناحية السياسية لتوافق السوريين عموماً عليه منذ تأسيس الدولة السورية.

[63] خلال الندوة أفاد متخصص شرعي وقاض بأن المجتمع السوري يفترض أنه تجاوز الحديث عن هذه القضايا منذ الخمسينيات بعد أن حسمت من قبل مختلف ممثلي الشعب السوري بمن فيهم أبناء التيارات الإسلامية المختلفة، من خلال إقرار المواطنة، فيما رأى باحث شرعي متخصص في جماعات الغلو باقتراحه مزيداً من التفصيل في المواطنة، فمن يرفض المواطنة بشكل مبدئي فذلك من علامات الغلو بشكل واضح، أما من يفصل فيها ويرى عدم مساواة المسلمين مع غيرهم في بعض الحقوق والواجبات فهو أمر فقهي لا زال مطروحاً للنقاش في الأوساط الفقهية، وعليه فجب أن ترد للبحث الشرعي أيضاً.

[64] وقد علق باحث شرعي على هذا المعنى بقوله "إذا كانت جماعات الغلو قد كفرت المسلمين واستباحت دماءهم وأموالهم، وأعملت فيهم قتلاً وتشريداً بالشبهات والأهواء، فإن استهدافهم لغير المسلمين هو استمرار لهذه السياسة وناتج لها؛ لذا فإنهم أسقطوا أمانهم وفق اعتبارهم أن صاحب الأمان الأصلي قد ارتد (ويعنون به الدول والحكومات الإسلامية)، ومن ثم رتبوا عليها استباحة الدماء والأموال، وخرجوا عن طريقة أهل العلم في التعامل معهم، فالجزية ليست هي المشكلة بل في طريقة فرضها وظروف فرضها ومن يقوم بذلك".

[65] خلال الندوة أفادت باحثة مختصة بالعلوم الشرعية بضرورة عدم المبالغة في مقاربة القضايا المتعلقة بالدستور والمواطنة وفق المتطلبات الغربية، بل يجب أن تؤخذ المتطلبات الوطنية بعين الاعتبار أساساً.

3) عدم اعتبار أي أهمية للتو افق والإجماع الوطني:

وهو أمر بدهي لدى الفصائل التي تنتهج الغلو في التكفير (الغلو الديني)، بل على العكس من ذلك، كثيراً ما تحرص على التمايز عن الجماعات الإسلامية والوطنية الأخرى والبراءة منها، وهناك فصائل أخرى قد تكون أقل غلواً في التكفير، ولكنها تبتعد عن حالة التوافق والإجماع الوطني العام تحت تأثير دوافع مختلفة، كالبحث عن تموضع "وسطي" متوهم بين "الغلاة" و"المفرطين" وفق اعتباراتهم الخاصة للتطرف والوسطية، أو مجاملة لبعض فصائل الغلو والتطرف أو مراعاة للتوافق معهم لتحقيق أهداف تنسيقية عسكرية ميدانية أو إدارية، ويقترح له 3 درجات.

4) العمل والتنسيق مع فصائل الغلو ومشاركتهم:

وأدناه التنسيق العسكري في غرف عمليات مشتركة ضد النظام السوري، كحالة التنسيق مع جبهة النصرة من مختلف الفصائل، وهو أيضاً درجات متفاوتة، فقد يكون تنسيق ضرورة في حده الأدنى (سابقاً في درعا)، وقد يتخذ طابعاً إدارياً أكثر ارتباطاً، كغرفة عمليات جيش الفتح، حيث انبثقت عن الغرفة العسكرية هيئات مدنية حكمت المناطق باسم جيش الفتح والفصائل المنضوية تحته، والتي تدخل ضمنها جبهة النصرة، ولاحقاً، ظهرت إشكاليات كثيرة بين الفصائل الداخلة في غرفة عمليات جيش الفتح بسبب عدم التجانس الفكري، والخلاف على المصالح، مما أدى لانهيار هذا التحالف في نهاية المطاف.

وقد يؤخذ بعين الاعتبار بأن جبهة النصرة قد فرضت نفسها عسكرياً على مختلف الفصائل في الكثير من الجبهات، وخاصة في الشمال السوري، ومن الطبيعي ألا ينظر صانع القرار الى أي فصيل ينسق مع فصائل الغلو بعين الاطمئنان، مع ذلك، من المهم تمييز حالة الفصائل بحسب السياق، لاضطرارها للتنسيق العسكري في كثير من الأحيان مع جبهة النصرة في الحدود الدنيا، لوجود أولوية القتال مع النظام لديها، وتجنب الصدام مع فصائل الغلو لشدة دمويتها في القتال وشدة تداخل الصراع بالعوامل المحلية والقبلية، وقابليته للتحول إلى بؤر مجتمعية منفجرة وحالات اقتتال داخلي مناطقي وقبلي.

ومن مظاهر التعاون والتنسيق مع فصائل الغلو، التوقيع معها على بيانات سياسية، وهو أعلى مرتبة في إعطاء تلك الفصائل بعض الشرعية من مجرد التنسيق العسكري[66] وكان لبعض تلك الحالات دوافع سياقية معينة لبعض الفصائل، أبرزها شعورها بالإقصاء من المعارضة السياسية، أو ضعف وعيها وجهلها بطبيعة فصائل الغلو (خاصة في الفترات الأولى) وعواقب التنسيق معها[67]، وأعلى التنسيق ما كان تحالفاً مع الغلاة بدافع المناصرة المنهجية، وكان هذا واضحاً من تعاطف ومناصرة فصيل جند الأقصى مثلاً لتنظيم "داعش"، وهذا ما يحث عليه بعض منظري الغلو لمختلف جماعاتهم، من وجوب نصرة بعضهم لبعض[68]، ويقترح له 7 درجات.

---

[66] وهنا يجب التنويه لضرورة فهم السياق والزمن، ففي بداية الثورة السورية، لم تظهر جبهة النصرة حقيقتها، وهو ما أشار له عضو في المكتب السياسي لأحد الفصائل السورية خلال الندوة حيث أفاد بأنه في البدايات، تم امتداح النصرة من شخصيات عديدة في المعارضة السياسية السورية بما فيها بعض الأطراف العلمانية السورية، كالأستاذ ميشيل كيلو.

[67] لعل أبرز الأمثلة على ذلك، توقيع البيان رقم واحد، والذي وقعت عليه العديد من الفصائل من بينها فصائل الجيش الحر إلى جانب جبهة النصرة، ومضمونه عدم الاعتراف بالحكومة المؤقتة والائتلاف الوطني.

[68] حذر أبو قتادة الفلسطيني وغيره مختلف فصائل الغلو من التحالف مع الجيش الحر، مشيراً لهم بأن من يقاتل إخوانكم الآن، سوف يقاتلكم لاحقاً،

معايير التطرف	معايير الغلو الديني	متعلقة بالفكر	الغلو في التكفير	20
			عدم اعتبار المرجعيات الشرعية من غير مرجعياتهم الخاصة	8
			عدم قبول مباديء التدرج والتوسع والغلو في نسخ آية السيف للصفح	4
			رفض الواقعية القطرية والاصرار على الخطاب العالمي	4
			الغلو في قضايا الولاء والبراء	6
			تنزيل نصوص آخر الزمان على واقعهم ومقاسهم	4
		متعلقة بالممارسة	رفض الدخول في التحالفات على المستوى الوطني	4
			رفض مختلف المبادرات السياسية والاتفاقات الدولية مبدئياً	5
			استخدام أعلام ورايات "إسلامية "خاصة	4
			كثرة انخراط الجنسيات الأجنبية "المهاجرين" وتوليها المسؤوليات في التنظيمات	6
			الانخراط في عمليات إرهاب الفصائل الأخرى وقتالها وعمليات الاغتيال	6
			المسارعة إلى إعلان الدول والإمارات على الناس وقتال المخالفين وادعاء تطبيق الشريعة	4
			تنفيذ العمليات الانتحارية والتوسع في قاعدة "التترس"	5
	معايير التطرف السياسي		عدم تبني مبدأ المواطنة	6
			الموقف من الأقليات	4
			العمل والتنسيق مع فصائل الغلو ومشاركتهم	7
			عدم اعتبار أي أهمية للتوافق والإجماع الوطني	3
	المجموع			

التصنيف:

عالي التطرف (متطرف جداً)		100 - 80
متطرف		80 - 50
متوسط التطرف		50 - 35
قليل التطرف		35 - 10
معتدل أو قريب من الاعتدال		10وما دون

رابعاً: التحول النسبي نحو الاعتدال (دراسة حالة):

تعد "حركة أحرار الشام الإسلامية" الفصيل الأبرز الذي كانت قياداته متأثرة بتيار "السلفية الجهادية" بدرجة ما، ليتحول تدريجياً إلى فصيل محلي أكثر براغماتية واعتدالاً، رافق ذلك التحول الذي استغرق السنوات السابقة اضطرابات وصراعات داخلية بين أجنحة داخل الحركة.

فمع بداية تأسيس "كتائب أحرار الشام" (تحولت لاحقاً إلى "حركة أحرار الشام")، كان واضحاً تمايزها عن كتائب الجيش الحر، ورفعها لراياتها الخاصة على المقرات، كما تعثرت محاولة دخولها مع فصائل أخرى تشابهها الانتماء المنهجي إلى "جبهة تحرير سورية الإسلامية" لأسباب عديدة، كان بينها الخلافات المنهجية، حيث برز بشكل واضح تلك الفصائل بأفكار "السلفية الجهادية"، واشتراطها تعديلات كثيرة في ميثاق التشكيل الجديد ومكوناته[69].

لاحقاً، وعقب إعلان البغدادي لدولته، سكتت الحركة بداية عن الإعلان، ثم أصدرت بياناً متأخراً نسبياً، وكان بياناً يحمل لوماً خفيفاً للإعلان باعتباره اجتهاداً غير صائب[70]، وحتى ذلك التوقيت، كانت الحركة تحافظ على انتمائها "السلفي الجهادي" مع بعد محلي، ويلحظ التأثر بمنظري التيارات "السلفية الجهادية" من خلال نقاشات قيادات الحركة معهم في فضاءات وسائل التواصل الاجتماعي، والسعي لإرضائهم باعتبارهم مؤثرين على شرائح عناصرهم، إلى درجة قبول تدخل المنظرين في قضايا إدارية متعلقة بالتوافق والتحالف مع فصائل أخرى[71].

وبعد إعلان البغدادي لدولته، وازدياد انتهاكات تنظيم الدولة المختلفة ضد عموم الفصائل، وضد الحركة نفسها بشكل خاص، إضافة إلى نصائح وضغوط اقليمية[72]، أدّت إلى حركة مراجعات فكرية مكثفة كان أبرز روادها أبو يزن الشامي، القيادي البارز في الحركة، والذي كان الأكثر جرأة في نقد الفكر السلفي الجهادي، حتى أنه "اعتذر لأهل الشام ومجاهديهم عن إدخالهم في معارك دونكوشوتية، والتمايز عنهم بسبب الانتماء إلى السلفية الجهادية"[73]، كما وقّعت أحرار الشام على

---

[69] شهدت الفترة التحضيرية لقيام "جبهة تحرير سورية الإسلامية" نقاشات طويلة حول قضايا فكرية وايديولوجية، كالدولة الإسلامية، ومعاني الكفر والايمان، وجواز الدخول في البرلمانات من عدمه، وتكفير القائلين بالديمقراطية (خاصة من حركة الفجر الأكثر تشدداً من كتائب الأحرار وقتها)، ثم كانت قضية مقتل قائد مجلس شورى المجاهدين "فراس العبسي" (والذي ظهر ارتباطه بدولة العراق لاحقاً) على يد ثائر وقاص القيادي في كتائب الفاروق قرب معبر باب الهوى (كما ورد الاتهام) كالشعرة التي قصمت ظهر البعير، حيث تبنت "كتائب أحرار الشام" والفصائل المتحالفة معها مطلب جبهة النصرة بتسليم الفاعلين، واشترطت خروج كتائب الفاروق من الجبهة لتوافق على الاستمرار بالمشروع على الرغم من الوساطات من شخصيات عديدة، إلا أن بقية الفصائل (لواء الإسلام – لواء التوحيد – صقور الشام) مضوا في مشروع الجبهة مع كتائب الفاروق المنتمية للجيش الحر والمتأثرة بالسلفية العلمية الدعوية، والتي كانت من أكبر الكتائب ذلك الوقت – من مشاهدات ومقابلات الباحث الشخصية.

[70] يمكن المقارنة النسبية في اللهجة وسرعة الإصدار مع بيان جبهة تحرير سورية الإسلامية، التي أصدرت بياناً شديد اللهجة عقب إعلان البغدادي، يمكن الاطلاع على البيانين في الملحقات.

[71] حيث دخلت حركة أحرار الشام في تحالف "الجبهة الإسلامية" مع فصائل أخرى، كجيش الإسلام وصقور الشام، و كان قادة الفصيلين أعضاء في مجلس الثلاثين التابع للجيش الحر، وكان إياد القنيبي المنظر السلفي الجهادي الأردني قد قال "لو كان الأمر إلينا لما ارتأينا تشكيل الجبهة إلا بعد أن تنسحب هذه القيادات من المجلس (التابع للجيش الحر)، أما وقد تشكلت، فإنا نطالب هذه القيادات التي نحسبها محبة لله صادقة في إرادة إقامة دينه أن تلتزم بما ألزمت به نفسها في الميثاق من عدم التبعية ولا تلقي الإملاءات الخارجية، ومن ذلك عدم استمرارها في عضوية مجلس يرأسه هذا الرجل المعلن التبعية للنظام الدولي (رئيس الأركان في ذلك الوقت سليم ادريس) ونسأل الله أن نرى انسحابهم من المجلس عاجلا"، ليجيبه حسان عبود زعيم أحرار الشام حول الأمر "أما بالنسبة لعضوية بعض قيادات الجبهة للأركان فإن لنا في ذلك كلاماً لاحقاً بإذن الله. لكن إنصافا أقول أنهم لم يتلقوا توجيهاً واحداً"، ليتم بعد ذلك انسحاب كل زهران علوش (قائد جيش الإسلام وأبو عيسى الشيخ (قائد صقور الشام) من الأركان مع تعليل للانسحاب، والذين يبدو واضحاً منه وجود الأسباب الفكرية والمنهجية وما تناوله القنيبي من انتقادات، وأتى هذا البيان بعد يومين فقط من كلمة القنيبي، أنظر: "إعلان تأكيد انسحاب جيش الإسلام وصقور الشام من تحت مظلة هيئة الأركان"، **دعم ترشيد وتوجيه الثورة في وجه نظام العبث السوري**، و "الحموي.. ميثاق الجبهة الإسلامية ليس دستوراً"، **زمان الوصل**، وكلمة القنيبي: "بخصوص الجبهة الإسلامية"، **د. إياد قنيبي، القناة الرسمية**.

[72] وخاصة قبيل إعلان ميثاق الشرف الثوري، حيث مررت كل من تركيا وقطر تحذيراً للحركة حول إمكانية التصنيف على لوائح الإرهاب.

[73] " اعتذار أبو يزن لأهل الشام ومجاهديها وتوجيهه رسالة لـالمقدسي والمحيسني"، **موسوعة أبو يزن الشامي**.

"ميثاق الشرف الثوري"[74]، والذي ركّز على "الاعتماد على العنصر السوري"، وحصر العمل العسكري ضمن الأرض السورية، دون إشارة إلى "المهاجرين"، مع التشديد على "إقامة دولة العدل الحرية" دون الإشارة إلى دولة إسلامية تكون السيادة فيها لشرع الله[75]، إضافة إلى التزام الثورة السورية باحترام حقوق الانسان "، وقد أدى هذا البيان إلى رد فعل غاضب من قبل "جبهة النصرة" عبر بيان مضاد[76].

وبعد مقتل أبو يزن وحسان عبود ومن معهم من المؤسسين وقيادات الصف الأول، تراجعت جهود المراجعات، وغدت الحركة أسيرة للتوافق بين التيار الإصلاحي والتيار المتشدد[77]، وبذل الجناح السياسي (المحسوب على التيار الإصلاحي) جهوداً في إعادة تموضع الحركة وطنياً من خلال البيانات والخطابات، والكتابة في الصحف الأجنبية، إلا انه وجد مواجهة وصداً من قبل التيار المتشدد عبر المكتب الشرعي، وتأجج الخلاف بين التيارين في أعقاب مؤتمر الرياض الذي انسحبت منه الحركة بقرار من القيادة، ودون رضا لجناح السياسي، وكذلك عقب مشاركة الحركة في عملية "درع الفرات" بدعم من الجيش التركي، الأمر الذي أدّى إلى استقالة عدد من الشرعيين في الحركة[78]، ويمكن أن تخدم الأمثلة السابقة (تحديداً انسحاب الحركة من مؤتمر الرياض) كمثال على التطرف السياسي للحركة بانسحابها من المؤتمر رغم التوافق العام عليه بين مختلف قوى الثورة والمعارضة بمن فيهم الفصائل العسكرية للمرة الأولى، ويبدو أنه لم يأت بسبب الأبعاد الايديولوجية، وإنما بسبب مراعاة الحركة للتيار المتشدد فيها، والذي كان يتخوف من صدام مع جبهة النصرة، ولديه بعض التقارب المنهجي معها، وعلى الرغم من مراعاة التيارات الإصلاحية في الحركة للتيارات المتشددة بهدف منع انشقاقها إلى درجة التضحية بالتوافق الوطني، انشقت العناصر المتشددة لاحقاً مشكلة ما أسمته "جيش الأحرار"، والذي انضم إلى جبهة النصرة لاحقاً تحت مسمى جديد "هيئة تحرير الشام"، لينشق عنها لاحقاً[79].

ويمكن استنتاج أن مقتل قيادات الصفّ الأول (أكثر من خمسين شخصاً) للحركة في انفجار غامض قد أسهم في عدم اكتمال التحول المنشود نحو الاعتدال.

خامساً: ملامح تطرف لدى اتجاهات أخرى:

ظهرت ملامح المناكفات بين الاسلاميين والعلمانيين مبكراً بعد بداية الثورة السورية، وذلك في العام 2012، حيث أصدرت

---

[74] وقد قرأ "حسان عبود" الميثاق بنفسه إلى جانب أحد قيادات الجيش الحر (المقدم أبو بكر) في دلالة رمزية واضحة على التحولات الجديدة في منهج الحركة، أنظر: "بيان ميثاق شرف ثوري للكتائب المقاتلة المنتشرة في كافةِ أنحاءِ الوطن"، **قناة الجزيرة**.

[75] وكان ميثاق الجبهة الإسلامية الذي أصرت الحركة على تبني نقاطه قد أشار إلى "بناء دولة مستقلة تكون فيها السيادة لشرع الله الحنيف"، وأن "الجبهة الإسلامية لا تشارك في أي عملية سياسية لا تكون فيها السيادة للشرع"، كما احتوى الميثاق على مواقف من المهاجرين والديمقراطية والعلمانية والدولة المدنية، ووصف المهاجرين بانهم "هم إخوة ناصرونا في الجهاد، وجهادهم مقدر ومشكور، يفرض علينا الحفاظ على كرامتهم وجهاديهم"، وهو ما يختلف جذرياً في الخطاب عن ميثاق الشرف الثوري، ليكون ميثاق الشرف الثوري أبرز تحول في خطاب "حركة أحرار الشام"، أنظر: "النص الكامل لميثاق الجبهة الإسلامية"، **زمان الوصل**.

[76] "النصرة تتحفظ على ميثاق الشرف الثوري.. لا نريد إلا دولة تقوم على حاكمية الشريعة"، **زمان الوصل**.

[77] يرى الباحث أحمد أبا زيد بأن لمراجعات القادة الراحلين أثر كبير في استباحة محرمات سياسية كبيرة لدى التيار الجهادي، وهذا صحيح نسبياً، لكن بقيت الحركة كما قلنا عملياً أسيرة لشطرها الجهادي عموماً، وبقيت محاولاتها لتأطير الوطنية عرجاء، أنظر: أحمد أبا زيد، "أحرار الشام بعد عام طويل"، **مركز عمران للدراسات**، ص 20.

[78] مقابلات واحتكاكات الباحث مع ناشطين، وأنظر: مازن عزي، "حروب الاندماج: الانقسام على صدع أحرار الشام"، **معهد العالم للدراسات**.

[79] أنظر "آراء متباينة حول "جيش الأحرار".. انشقاق أم اعتصام؟"، **صحيفة عنب بلدي**.

شخصيات تنتمي إلى المعارضة السورية "وثائق القاهرة"، والتي انتقدتها عدة مؤسسات وشخصيات تابعة للمعارضة، كرئيس الائتلاف الوطني السوري في ذلك معاذ الخطيب، معتبراً بأن وراءها مكراً واجحافاً بحقوق الاكثرية المسلمة والاسلام الحنيف، كم اعتبرت هيئات أخرى مدنية[80] وعسكرية[81] بأن تلك الوثائق تفرض علمنة الدولة من خلال خلوها من أي إشارة للهوية الإسلامية[82].

كما ظهرت بعض الكتابات التي عممت الاتهامات بالتطرف، بل ودعشنت مختلف التيارات الاسلامية، بل لم يسلم من اتهاماتها بالدعشنة حتى شخصيات علمانية عربيه سنية[83]، كما ظهرت بعض الكتابات التي تبالغ في تحميل بعض الجماعات الاسلامية كامل المسؤولية عن المصائب التي حلت بالشعب السوري[84]، ويمكن تفهم أن بعض تلك الكتابات قد تكون آتية في سياق ردود الأفعال على الغلو والتطرف الديني أو محاولة الاستفادة من الضغط الدولي على التيار الاسلامي فيما بعد "ثورات الربيع العربي"، مع ذلك، يجب محاصرتها و الحد منها تزامناً وبالتوازي مع جهود مواجهة الغلو والتطرف الإسلامي، باعتبار أنها تسهم في توليد المزيد من ردود الأفعال المتبادلة ممّا قد يؤدي إلى تغذية التطرف في مختلف الاتجاهات، وذلك على الرغم من إقرارنا بمحدوديتها في المستويات النخبوية.

---

[80] يرى المكتب السياسي لهيئة الشام الإسلامية أنّ وثيقة العهد الوطني قد أقرت بافتآت على الإرادة الشعبية علمنة الدولة وتنحية الشريعة الإسلامية ويتضح ذلك من خلال الآتي:

1_ خلو أي نص من نصوص الوثائق المقدمة على الإشارة للهوية الإسلامية للدولة السورية، على الرغم من أنَّ الغالبية العظمى من السوريين هم من المسلمين. ومن المفارقات أن دستور النظام الحالي ينص على المرجعية الإسلامية للدولة في مادته الثالثة.

2_ ضعف صلة الدولة السورية بالعالم الإسلامي إلا من خلال جذور تاريخية وقيم انسانية، مع التأكيد على انتمائها العربي والعالمي، والنصوص الدالة على ذلك كما يلي:

ففي الانتماء العربي قالت: (سورية هي جزء من الوطن العربي، ترتبط شعوبه بوشائج الثقافة والتاريخ والمصالح والأهداف الكبرى والمصير المشترك).

وفي الانتماء العالمي ذكرت: (سورية جزء من المنظومة العالمية وهي عضو مؤسّس في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات المتفرّعة عنها).

وعندما جاء الحديث عن العالم الإسلامي كانت العبارة: (تربط الشعب السوري بجميع الشعوب الإسلامية الأخرى جذور تاريخية مشتركة وقيم إنسانيّة مبنية على الرسالات السماوية)، أنظر: الموقف (3) "وثيقة العهد الوطني"، **هيئة الشام الإسلامية**.

[81] انتقد المكتب السياسي لجبهة تحرير سورية (وهي تحالف لكبرى الفصائل السورية المسلحة) وثائق القاهرة، وأصدر في ذلك بياناً وضعته الجبهة على صفحتها وموقعها، ويبدو أنه لم يعد متوافراً في الوقت الحالي.

[82] خلال الندوة أفاد باحث شرعي وقاض بأنه ومع بداية الثورة السورية، بدأت بعض النخب العلمانية بطرح فكرها بطريقة "داعشية" من خلال التصريح ب "رفض حكم القرآن الذي نزل من 1400 سنة"، وأن ذلك أدى إلى ردود فعل لدى الحاضنة الشعبية المتدينة بطبيعتها.

[83] أنظر مقالة: **"كي لا تكون "علمانية" سوريا كلمة حق يراد بها حربا طويلة"، أورينت نت**.

[84] أنظر مقالة: **"دور الإخوان المسلمين في إفشال الثورة السورية"، السوري الجديد**.

سادساً: الملحقات:

الجبهة الإسلامية السورية

حركة أحرار الشام الإسلامية

المكتب السياسي بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فقد فوجئنا كما فوجئ الكثير بما صدر عن أبي بكر البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية من إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام ثم ماتلاه من ردٍ لأبي محمد الجولاني المسؤول العام لجبهة النصرة المتضمن إعلان البيعة للدكتور أيمن الظواهري أمير تنظيم قاعدة الجهاد .

ونحن إذ نرقب باهتمام تداعيات الحدث لما له من أثر بالغ على الساحة الداخلية والإقليمية فإننا نسجل نقاطاً هامة تبين موقفنا تجاه ما صدر طارقين في ذلك باب النصح والتذكير :

1- إننا في حركة أحرار الشام الإسلامية نحرص على صب الجهود وتوحيدها في معركة دفع العدو الأسدي الصائل إذ لا شيء بعد الإيمان أوجب منه ولا شيء يقدّم عليه.

2- إن لله سنناً شرعية وقوانين كونية لإقامة الدول الراشدة من أخلّ بها حُرم من عاقبتها كما أن الإمامة على المسلمين لابد لها من قدرة وسلطان تحصل بهما مصالح الإمامة وهذا ما لايتوفر في أي من الفصائل والكتائب العاملة على الأرض.

3- إن الإمارة وسيلة وضعت في الشرع لجمع الكلمة ووحدة الصف وليست مقصداً بعينه وما جرى من إعلان البغدادي لم يجمع المتفرقين ولا ألّف بين المتنازعين وهذا ما يسمى فساد الوضع عند علماء الأصول وهو اقتضاء الوضع الذي رُتب عليه الحكم نقيض ما عُلق عليه.

4- إن إعلان الدولة هذا لم يُشاوَر فيه أحد من أهل الحلّ والعقد في هذا البلد من علماء ربانيين وفصائل مخلصة عاملة على الأرض من الإسلاميين وكتائب الجيش الحر وهذا يفتح سبيل التفرد في إطلاق المشروعات المصيرية في البلد كلّ بحسب ما يراه.

5- كذلك فإن كلا الإعلانين سيجر إلى الميدان أطرافاً جديدة ولايخدم – فيما نرى – ثورة شعبنا وجهاده , والأصل عدم توسيع دائرة الصراع والتركيز على محاربة نظام الأسد وإيقاف عدوانه وتقويض أركانه .

6- نرى في كل من الإعلانين تقديماً لمصلحة الجماعة على مصلحة الأمة، وهو ما كان ينتظره النظام ليبرر عدوانه وبغيه على شعبنا الجريح. وإننا لما رأينا تفاني وبسالة جبهة النصرة في المعارك وإحسانها وحسن تعاملها مع الناس كان الظن فيهم استمرار الغيرية والإيثار وتقديم مصلحة الأمة.

وبناءً على ما سبق فإننا نتوجه لكل من الطرفين أن يستشعروا عِظَم الحدث وخطورة أقلمة الصراع بهذه الطريقة وإشراك أطراف أخرى وهذا ليس احتكاماً لحدود مصطنعة بين أبناء الأمة ولكنه قراءة موضوعية لمعطيات الواقع وتقديم لما نراه مصلحة المسلمين وجهادهم ضد طاغية الشام.

أخيرا إننا في حركة أحرار الشام الإسلامية إذ نقرر ما سبق فإننا نعلن أن قيام دولة إسلامية راشدة تقيم العدل والقسط بين رعاياها هو هدف نسعى إليه بوسائل مشروعة ونراعي في ذلك مقتضيات الوضع وحالة الأمة المغيبة عن دينها في هذا البلد طيلة نصف قرن من الزمان. نسأل الله تعالى أن يلهمنا الرشد و السداد في القول و العمل وأن يبرم لأمتنا أمراً يرضاه إنه ولي ذلك و القادر عليه و الحمد لله رب العالمين.

يوم السبت الواقع في 1434/06/24 الموافق 2013/05/04

بيان رقم 6/ح

تاريخ: 1جمادى الثانية1434
الموافق لـ 11ابريل (نيسان) 2013

بيان حول إعلان دولة العراق والشام وردود الفعل عليه

تعلن جبهة تحرير سورية الإسلامية عن استغرابها واستهجانها للخطاب الذي نشر على مواقع التواصل الاجتماعي، وما ورد فيه من إعلان إقامة دولة العراق والشام ، وكأن إعلان إنشاء الدول يكون عبر وسائل الاعلام، ومن مجاهيل لايعرفون .

وليس عبر تحرير البلاد من نظام فاجر كافر دمر البلاد والعباد ..

كما نبدي استغرابنا، لهذا النهج الحزبي الضيق، لأناس بعيدين عن ساحات جهادنا، ولا يدركون واقعنا، ومصالح ثورتنا المباركة، فيقيمون علينا دولة ونظاماً من دون استشارتنا وأميراً لم نؤمره، ولا نعرفه، ولم نسمع عنه إلا في وسائل الاعلام ..

ونحن في سورية عندما خرجنا وأعلنا جهادنا ضد النظام الطائفي خرجنا لإعلاء كلمة الله ، وليس لأن نبايع رجلا هنا أو رجلا هناك، ونفتئت على بقية إخواننا المجاهدين، وشعبنا المنكل به الصابر الصامد المحتسب، أو أن نفرض عليه شيئا فوق إرادته، أو نستبق النتائج قبل أوان حدوثها، وكأننا في مضمار خيل، أو محفل انتهاب!

يجب أن لا يكون من أهدافنا السعي الحثيث وراء السلطة، أو انتهاب المراكز والكراسي،

إنه لن يخدم شعبنا وأمتنا مبايعة من لا يعرفون شيئاً عن واقعنا، بينما لا تزال معظم مدننا محتلة، وعصابة الإجرام قائمة تعيث في طول البلاد وعرضها فسادا، ودماء شعبنا تنزف! ، فليس هذا هو الوقت المناسب لإعلان دول، أو توحدها مع أخرى، دون ان تكون حقيقية مرهوبة معترفا بها على أرض الواقع ..، وسبحان الله الذي قال: (خلق الإنسان من عجل)..

أيها المجاهدون الصادقون انصروا الله ينصركم، اصدقوه في فعالكم يصدقكم في وعده لكم، ولا يكن جهادكم للدنيا وسعياً وراء المناصب، ولا تتعجلوا المراحل، ولا تطلبوا من أمتكم ما لا طاقة لها به، ولنأخذ العبرة من تجارب كثيرة في بلادنا الاسلامية، انتهت الى غير ما نحب بسبب التعجل، و قلة الحكمة والروية، أو بسبب النزاع المفضي إلى الفشل كما قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ..

وإننا نرى فيما ذكر ما يكفي لبث النزاع والشقاق في صفوف المجاهدين في وقت عصيب، ومحاولة لدمج الصراعات في المنطقة، بما يخدم ما يريد المجرم بشار الاسد من محاولات اشعال المنطقة، والاستقواء علينا بالقوى العالمية بحجة الحرب على الإرهاب ..

أيها المجاهدون: إن جبهة تحرير سورية الإسلامية تدعوكم إلى كلمة سواء، أن تكون كلمتكم واحدة، وصفكم واحد ورايتكم واحدة، وهي راية إسلامية، تمثل ما عهد عن بلاد الشام في تاريخها الطويل الذي يشهد به علماؤها، الذين أخرجتهم للأمة، وهم من رسم لها الوسطية والاعتدال منهجا سليما وطريقا قويما..

كما ندعوكم اليوم إلى ميثاق واحد يحفظ على البلاد أمنها وعلى المجاهدين جهادهم، ويحقق ما حلم به الشهداء وقدموا أرواحهم زكية لأجله، ويحفظ الدم السوري، وينشر العدل بين جميع السوريين.

ولسنا بحاجة إلى مناهج مستوردة، أو فهم جديد لدين الأمة، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) .. ولا نريد مزايدة لأحد على أحد!..

الله الله في دماء المسلمين المعصومة، الله الله في حرمة الاقتتال، الله الله في السوريين وفي بلادهم المباركة.

ألا هل بلغنا ... اللهم فاشهد ...

جبهة تحرير سورية الاسلامية

وقد نمق أبو عيسى كلامه في "تغريداته" مرة بوعي المراحل، ومرة بحمله على السياسة الشرعية.

ومن جهة أخرى، فإن أبا عيسى أنزل "تغريداته" بعد أن افتضح أمره بنشر تصريحاته الكفرية على حسابه في الشبكة، فلم تكن "تغريداته" إن زعم أنها توبة له، منزَّلة من تلقاء نفسه، وإنما أتى بها كرد على ما افتُضح من كفره، وهذا شبيه بأفعال الزنادقة، فالزنديق هو الذي يعلن توبته بعد الاطلاع على كفره، قال العدوي في حاشيته: "الزنديق: أي الذي تاب بعد الاطّلاع عليه" [٣١٤/٢].

أما قول أبي عيسى في "تغريداته": (أما ما نحن عليه فميثاقنا في الجبهة واضح بَيِّنٌ)

فقد سبق أن تكلمنا عن حقيقة هذا الميثاق من الناحية الشرعية فلا متعلّق له به[٣٣].

فإذا تقررت ردّة أمراء ما يعرف بالجبهة الإسلامية؛ كأبي عيسى الشيخ رئيس مجلس الشورى، وزهران علوش القائد العسكري، وحسان عبود رئيس الهيئة السياسية، بما تقدم من مناطات كفرية كتولي المرتدين والكفار وتصحيح مذهبهم وغير ذلك. فليعلم أن كل من التحق بهؤلاء المرتدين بعد العلم بحالهم وقاتل تحت رايتهم فحكمُه حكمُهم سواء بسواء، فلا خلاف بين أمة التوحيد في حكم من صار مع المرتدين وأعداء الدين، في أنه من جملتهم وحكمَه حكمُهم.

قال ابن تيمية رحمه الله في حكم من التحق من المسلمين بالتتار المظهرين لشعائر الإسلام: (وكل من قفز إليهم من أمراء العسكر وغير الأمراء فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام) [الفتاوى: ٥٣٠/٢٨-٥٣١].

وقال رحمه الله: (وبهذا يتبين أن من كان معهم ممن كان مسلم الأصل هو شر من الترك الذين كانوا كفارا، فإن المسلم الأصليّ إذا ارتد عن بعض شرائعه، كان أسوأ حالا ممن لم يدخل بعد في تلك الشرائع، مثل مانعي الزكاة وأمثالهم ممن قاتلهم الصديق، وإن كان المرتد عن بعض الشرائع متفقها أو متصوفا أو تاجرا أو كاتبا أو غير ذلك، فهؤلاء شر من الترك الذين لم يدخلوا في تلك الشرائع وأصروا على الإسلام، ولهذا يجد المسلمون من ضرر هؤلاء على الدين ما لا يجدونه من ضرر أولئك.) [الفتاوى: ٥٣٤/٢٨-٥٣٦].

فإذا تقرر هذا فليعلم أن حكم الردّة لا يطَّرِد عندنا في أفراد وأتباع ما يسمى بالجبهة الإسلامية، إلا بعد

---

٣٣ – راجع ما قلناه عن الميثاق سابقا، وسنفرده بدراسة مستقلة إن شاء الله تعالى.

علمهم بحال رايتهم المتمثلة في أمرائهم، فلا يحكم بردّة أعيان هذه الطائفة إلا بعد علمهم بحال أمرائهم وردّة هؤلاء الأتباع يكون من جهة اتباعهم المرتدين من أمراء ما يسمى بالجبهة الإسلامية؛ فالقاعدة أن التابع له حكم المتبوع، وهذه التبعية والمشاركة لهؤلاء الأمراء ردّة عن دين الإسلام، فهم كالطائفة الواحدة في الأحكام الدنيوية وكذلك في الأخروية.

قال تعالى: **{وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ۞ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}** [سورة الأحزاب: الآية: ٦٧- ٦٨].

وقال تعالى: **{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ}** [سورة الأنعام: الآية ٣٨].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (**{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ}** أي آخرهم دخولا وهم الأتباع لأولاهم وهم القادة.) [الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٢٠٥].

وقال الإمام الماوردي رحمه الله: **{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ}** يعني الأتباع للقادة؛ لأنهم بالاتباع لهم متأخرون عنهم، وكذلك في دخول النار تقدم القادة على الأتباع.

{رَبَّنَا هَؤُلآءِ أَضَلُّونَا فَئَاتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ} يريد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر، وبالآخر عذابهم على الإغواء...

فأجابهم الله قال: **{لِكُلٍّ ضِعْفٌ}** يعني أنه وإن كان للقادة ضعف العذاب، لأن أحدهما بالكفر، والآخر بالإغواء، فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب، وهذا قول الجمهور) [النكت والعيون: ٢/ ٢٢٢].

وختاماً فهذه كلمات نكتبها إلى كل طالب للحق متحرٍ له من جنود الجبهة الإسلامية الذين كان يخفى عليهم حال أمرائهم، فإلى هؤلاء نقول:

يشهدُ اللهُ تعالى أننا نرجو في كلامنا هذا أن نبذلُ لكم من النصيحة ما نعتقد أنها براءة لذمتنا أمام بارئنا، ولأننا نحرِصُ على أن نكون سبباً لهدايتكم عملاً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضيَ الله عنه حين قال له: **(لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)**[٣٤].

---

٣٤ – رواه الإمام البخاري.

وإنَّ من النصيحة لكم كشفُ أحوال القائمين على أمر هذه الجبهة من أمراء وقيادات؛ لتكونوا على بصيرة من أمركم وتقفوا على زيف دعواهم، فالفرق شاسع بين ما يَدَّعُونه من العمل على تحكيم شرع الله تعالى كما يزعمون، وبين ما يخفونه من الولاءات لطواغيت المنطقة الذين يسعون إلى إقامة دولة خاضعة لإملاءات الغرب، ولكن بثوبٍ إسلامي.

فاحذر يا عبد الله أن تكون جندياً لأمراء مرتدّين عن دين الله تعالى، فيجعلوا منك وقوداً لمعارك تحقق مآرب الغرب الكافر وأذنابهم.

وإنه يوشك أن تتجلي غمرات هذه الأحداثِ وتتكشفَ الحقائقُ، حتى نرى عيانا ما أخبرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه أنه قال: **(حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ فُسْطَاطُ إِيمَانٍ لاَ نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطُ نِفَاقٍ لاَ إِيمَانَ فِيهِ)**[٣٥].

وإنكم اليوم تقفون بين هذين الفسطاطين، فانظروا إلى أي الفسطاطين تنصرفون وفي زمرة من تحشرون؟

أما أنتم أيها الأمراء فإننا نذكركم الله تعالى، وندعوكم إلى إعلان توبتكم والبراءة من ردتكم الواضحة الفاضحة، ما دامت التوبةُ ممكنةً وبابها مفتوح.

فإن العبد إذا ألمَّ بذنب فاعترف به ثم تاب، تاب الله عليه، كما جاء في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه)**.

ووالله لرجوعكم إلى الحق بالتوبة والإقلاع عن الكفر، خيرٌ من تماديكم في الباطل الذي لا يعقبُه إلا سخط الله ثم خزي الدنيا والآخرة.

---

٣٥ – أخرجه أحمد ١٣٣/٢ وأبو داود برقم ٤٢٤٤ وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم

الهيئة الشرعية

في

الدولة الإسلامية في العراق والشام

الأربعاء ١٦/ جمادى الآخرة / ١٤٣٥

سابعاً - قائمة بأهم المراجع:

- التطرف والإرهاب إشكاليات نظرية وتحديات عملية (مع إشارة خاصة إلى العراق)، د. عبد الحسين شعبان.
- في ما يسمى التطرف، د. عزمي بشارة، سياسات عربية، دورية محكمة تعنى بالعلوم السياسية والعلاقات الدولية.
- التطرف والتعصب الديني؛ أسبابه والعوامل المؤدية إليه، د. إسماعِّيل صدِّيق عثمان، جامعة بنغازي.
- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
- شبهات تنظيم الدولة وأنصاره والرد عليها، د. عماد الدين خيتي.
- تصور الغلاة لمفهوم الدولة في الإسلام: عرض ونقد، د. عماد الدين خيتي، موقع البيان.
- أحرار الشام بعد عام طويل، أحمد أبا زيد.
- هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية، منظمة أزمات الدولية.

- A Motivation Based Classification of Terrorism, Volume 5 Issue 2 - 2017 Department of Criminal Justice, Minot State University, USA *Corresponding author: Hasan Buker, Department of Criminal Justice, Minot State University, North Dakota, USA.
- Local Community Resistance to Extremist Groups in Syria Lessons from Atarib, Research Paper Haid Haid Middle East and North Africa Program | June 2017.
- Al-Azhar: beyond the politics of state patronage, RASHIED OMAR, University of Notre Dame.

الورقة الثالثة: قراءة في بعض تجارب فصائل المعارضة مع تنظيمات الغلو والتطرف

أ. عباس شريفة[85]

مقدمة:

تعددت تجارب فصائل المعارضة في تعاملها مع قوى التطرف والغلو بحسب المنطقة والفصيل، الأمر الذي أوجد تجارب متعددة نوعياً ومكانياً وزمانياً. معظم تجارب هذه الفصائل ابتدأت بالتعاون وانتهت بالمواجهة والقتال. وإذا كانت تجربة الفصائل مع "داعش" هي الأوضح والأسرع في التحول من سياسية "الاحتواء" ومحاولة "التفكيك" إلى "المواجهة والقتال"، إلا أن التجارب مع فصائل الغلو والتطرف الأخرى "كالنصرة وتنظيم جند الأقصى والحزب الإسلامي التركستاني" لم تكن كذلك، حيث مرت تلك التجارب بمراحل ونماذج متعددة قبل الوصول إلى مرحلة "المواجهة والقتال".

على الرغم من نجاح فصائل المعارضة في استئصال تنظيم "داعش" في الغوطة الشرقية وريف حلب الغربي، ومحافظة إدلب وعدد من المناطق الأخرى، لكنها اضطربت في تعاملها مع "جبهة النصرة" المبايعة للقاعدة وفصائل الغلو الأخرى مثل جند الأقصى والحزب الإسلامي التركستاني، وقد رافق ذلك تحولات لبعض جماعات "السلفية الجهادية" نحو الخطاب الوطني والاعتدال النسبي،

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على بعض تجارب الفصائل في مواجهتها وتعاملها مع فكر الغلو وفصائله، بهدف استخلاص الدروس المستفادة من خلال استعراض ممارسات وخطابات مختلف تلك الفصائل فيما يتعلق بمواجهة الخطاب والمشاريع المتطرفة كتنظيم الدولة والجماعات المتطرفة الأخرى المماثلة، وصولاً إلى استخلاص مجموعة من "أفضل الممارسات" فيما يتعلق بمواجهة خطاب الغلو فكرياً وسياسياً، مع استخلاص أهم الأخطاء التي من المحتمل أنها قد دفعت بعض الشباب إلى التأثر بخطاب جماعات الغلو والتطرف.

تفترض الورقة أن العلاقة بين الفصائل المسلحة وبين تنظيمات الغلو والتطرف مرت عبر خطوط كثيرة من التحولات في الموقف والإجراءات، بدءاً من التماهي الإيديولوجي انتقالاً إلى الترحيب والتعاون، مروراً بالتوتر والخلافات والمواجهات الأمنية، وصولاً إلى المفاصلة النهائية والقتال العسكري الشامل.

تبرز أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول تحليل تجارب مواجهة فكر الغلو أو التعامل معه احتواء أو مسايرة أو تنسيقاً، لتحديد نتائج تلك السياسات وآثارها السلبية والإيجابية.

نماذج وعينات الدراسة:

1- فصيل جبهة ثوار سورية كفصيل شعبي ثوري كانت له تجربة طويلة في الصراع مع تنظيم الدولة، ثم مع تنظيم "جبهة النصرة"، وتنظيم جند الأقصى.

[85] باحث مختص في الشؤون الإسلامية لدي مؤسسة رؤية للثقافة والإعلام.

2- جيش الإسلام كفصيل متماسك عسكرياً ومعبأ أيديولوجياً ضد فكر الغلو وفصائله، نجح بشكل شبه كامل في القضاء على "داعش"، ونسبياً في القضاء على "جبهة النصرة" في الغوطة الشرقية.

3- جيش الفتح باعتباره حالة تعبر عن تنسيق عال بين مجموعة من الفصائل الثورية: "أحرار الشام، جيش السنة، فيلق الشام، لواء الحق، أجناد الشام"، وبين تنظيمين من تنظيمات الغلو والتطرف هما: "جبهة النصرة، جند الأقصى".

4- حركة نور الدين الزنكي كتجربة حققت قسطاً من النجاح في التصدي لمشروع هيئة تحرير الشام.

صعوبات الدراسة:

1- كثرة حالة الاندماجات والانشقاقات بين الفصائل وتعدد المشاريع الفصائلية.

2- اختلاط العوامل الاجتماعية بالإيديولوجية بالسياسية، في رسم طبيعة العلاقة بين الفصائل وبينها وبين تيارات الغلو والتطرف.

3- لا تعبر البيانات الرسمية والتصريحات العلنية والمقابلات الصحفية، في الغالب عن حقيقة الأزمة التي تعيشها الفصائل، ولا تعبر عن طبيعة العلاقة بينها وبين تيارات الغلو والتطرف، فالعلاقة أساساً خاضعة لبرغماتية عالية، يأتي في أولويتها الحفاظ على وجود الفصيل.

1- تجربة جبهة ثوارسوريا في التعامل مع فكر الغلو وفصائله:

جبهة ثوار سوريا هي تحالف عسكري تشكل في كانون الأول ديسمبر بين عدة تشكيلات وألوية تابعة للجيش السوري الحر تضم أكثر من 15 فصيلاً[86]. وكانت تعد الجبهة مصنفة غربيًا ضمن ما يوصف بالمعارضة المعتدلة[87]. حتى أن بعض الصحف الغربية كانت تصف جبهة ثوار سوريا أنها بديل مناسب عن نظام الأسد[88].

وكانت تعلن دائما أن هدفها اسقاط النظام السوري، ولا تقاتل إلا النظام، وكان قائدها يعلن أنه لن يقاتل أحد من الفصائل الإسلامية ما عدا "دولة العراق والشام" التي بدأت الاعتداء على فصائل الجيش الحر[89].

وقد اندلعت يوم 26 تشرين الأول أكتوبر 2014 اشتباكات بين جبهة ثوار سوريا و"جبهة النصرة"، في منطقة جبل الزاوية بريف إدلب. نجحت "جبهة النصرة" على إثرها في السيطرة على تلك المنطقة، لتفقد بذلك جبهة ثوار سوريا معقلها الرئيسي شمالي سوريا في تشرين الثاني نوفمبر 2014[90].

1-1- الأسباب التي دفعت النصرة للقضاء على جبهة ثوارسوريا:

على الرغم من تذرع النصرة بأن السبب الأساسي من هجومها على النصرة هو "الفساد" المستشري ضمن الفصيل على الصعيد العسكري من خلال تخزين السلاح وعدم فتح الجبهات مع النظام، ومدنياً من خلال الأتاوات التي كانت تفرض على المدنيين والسماح بمرور سيارات تحميل الوقود تجاه تركيا، إلا أن ذلك ما كان إلا غطاء لأسباب أخرى حقيقية شكلت دافعاً "للنصرة لهذا الهجوم، نلخصها بما يلي:

1- **حرب الموارد:** مع نهاية القتال مع "داعش"، خسرت جبهة ثوار سوريا مواردها في حقل شاعر النفطي في ريف حماة والذي كان يدر عليها مبالغ طائلة، واستعاضت عن هذه الموارد بحواجز جباية على الحدود السورية التركية لجباية الأموال من حافلات النفط التي تهرب النفط لتركيا، والنصرة هي الأخرى خسرت أهم مواردها النفطية بعد انهيار فرعها التنظيمي في الشرقية وخسارتها لحقل كونيكو أمام "تنظيم الدولة"، فبدأت تبحث عن موارد لتغطية نفقاتها المتزايدة، وهنا كانت أنظار النصرة تتجه إلى المنطقة الحدودية في حارم وسرمدا وسلقين ودركوش، والتي تسيطر عليها

86- ضمت الجبهة في بداية تشكيلها الفصائل التالية: المجلس العسكري في محافظة إدلب، تجمع ألوية وكتائب شهداء سوريا، تجمع ألوية أحرار الزاوية، ألوية الأنصار، ألوية النصر القادم، الفرقة السابعة، الفرقة التاسعة في حلب، كتائب فاروق الشمال، كتائب فاروق حماة، لواء ذئاب الغاب، لواء شهداء إدلب، كتائب رياض الصالحين في دمشق، فوج المهام الخاصة في دمشق.

ينظر: بيان تشكيل جبهة ثوار سوريا، الرابط: https://bit.ly/2R0XTuh.

87 ساهم في ذلك، تفسير تشكيل جبهة ثوار سوريا آنذاك بأنه جاء كردة فعل على تشكيل "الجبهة الإسلامية"، التي ضمت الفصائل ذات التوجه الإسلامي، حيث اقتصر تشكيل جبهة ثوار سوريا على الفصائل المنضوية تحت لواء الجيش الحر، والتي لم تكن تملك خلفية أيديولوجية "إسلامية" كتلك التي تمتلكها "الجبهة الإسلامية".

88 David Ignatius: In Syria, a rebel with a cause, The Washington Post, March 13, 2014, link: https://wapo.st/2H1Qvh1.

89 - من لقاء قائد جبهة ثوار سوريا مع تيسير علوني، الرابط: https://bit.ly/2U4J6kj.

90 - رسالة مصورة من جمال معروف إلى الجولاني، الرابط: https://bit.ly/2S0oex7.

جبهة ثوار سوريا ، فكانت ذرائع البغي ظاهرها الحرب على الفاسد وباطنها البحث عن الموارد للإنفاق على المشروع الخاص.

2- **مجلس قيادة الثورة وحرب المشاريع:** ما أن وضعت الحرب بين تنظيم الدولة والفصائل أوزارها، حتى شعرت الأخيرة بالحاجة إلى مشروع جامع يحمي مكتسبات الثورة.

كانت اللبنات الأساسية لمشروع مجلس قيادة الثورة الذي ضم في صفوفه أكثر من /100/ فصيل عسكري، قد توافقت عليها أهم الفصائل الموجودة آنذاك، وكانت جبهة ثوار سوريا جزءاً من هذا المشروع الذي تم الإعلان عنه في 2014/11/29 في مدينة غازي عينتاب[91]، وكانت جبهة ثوار سوريا تبحث عن حلف عسكري مع الفصائل يكف شهوة النصرة في التهامها[92]، لكن مشروع مجلس قيادة الثورة لم يفعّل ولم يتم هيكلته بشكل مؤسساتي، ليقع البغي لاحقاً على جبهة ثوار سوريا في عقر دارها في جبل الزاوية من دون أن تحرك الفصائل الأخرى ساكناً93.

3- **وجود تيار متطرف داخل النصرة يرغب بالانتقام من جمال معروف:** بعد أن دخلت غالبية الفصائل العسكرية – ومنها جبهة ثوار سوريا-مواجهة مفتوحة مع تنظيم "داعش" في بداية 2014، ولّدّ ذلك ردة فعل لدى الكثير من العناصر سواء التي بقيت داخل "جبهة النصرة" الرافضة آنذاك لدخول تلك المعركة وأخذت دور المحايد أو كانت داخل بعض الفصائل وكانت لديها بذور من الغلو والتطرف.

لجأت غالبية هؤلاء العناصر الحاقدين على الفصائل والمتعاطفين مع "داعش" وغير القادرين على الالتحاق بها، إلى "جبهة النصرة"، مما شكل تياراً شديد التطرف وبحجم كبير داخلها يدفع بشدة للانتقام من الفصائل، ليستغل قائد النصرة هذا التيار في التخلص من الفصائل والعمل على بناء "مشروع الإمارة".

---

91 - بيان تشكيل مجلس قيادة الثورة، الرابط: https://bit.ly/2ASTK6s، لقاء مع قائد جبهة ثوار سوريا حول تشكيل مجلس قيادة الثورة، الرابط: https://bit.ly/2RUSedS.

92 - شعرت قيادة جبهة ثوار سوريا بأهداف النصرة من خلال عدة مؤشرات أهمها: اشتداد الحملة الإعلامية التي بدأتها النصرة ضد فصيل جبهة ثوار سوريا من خلال المواقع الرديفة، وسابقة البغي الذي استهدف وجود جبهة ثوار سوريا في المناطق الحدودية.

93 كان موقف الفصائل من إعلان الحرب على جبهة ثوار سوريا، يدور بين الصمت، وبين من يصدر بيان يدعو لمحكمة شرعية، وبين من يدعو لقوات فصل، ولم يعلن أي فصيل موجود في الشمال وقوفه إلى جانب "جبهة ثوار سوريا".

فقد كان التحشيد ضد جبهة ثوار سوريا يتم عبر جيش الكتروني ومعرفات وهمية، أغلبها لا ينتمي ل "جبهة النصرة" ظاهرياً. وقد لجأت النصرة إلى هذا الأسلوب لكي تظهر للجمهور أن مطلب محاسبة جبهة ثوار سوريا هو مطلب شعبي، لكن بعد القضاء على جبهة ثوار سوريا بدأت المعرفات الرسمية للنصرة تنشر أشياء عن فساد جبهة ثوار سوريا كنماذج لتبرير بغيها، وهذه نماذج عنها:

- مقطع منسوب عن جمال معروف وفضحه على لسان مرافقه، الرابط: https://bit.ly/2DrfpEJ.
- مقطع منسوب إحدى مقابر جمال معروف الجماعية التي تم اكتشافها في جبل الزاوية، الرابط: https://bit.ly/2FFByB9.
- فيديو لقيام "جبهة النصرة" بإخراج الاسلحة التي كان جمال معروف يخزنها تحت الأرض، الرابط: https://bit.ly/2T4xVYL.

2-1- ذرائع القتال بين جبهة ثوارسوريا وتنظيم "جبهة النصرة" وإنهاء "ثوارسوريا":

نجحت غالبية فصائل الغلو، ومنها "جبهة النصرة"، في التمهيد لأية عملية بغي تريد القيام بها من خلال الآلة الإعلامية التي كانت تحركها قبل البدء بالعملية فضلاً عن توظيف أذرعها وأدواتها الأمنية. وهذا ما لجأت له في تعاملها مع "جبهة ثوار سوريا". حيث ساقت "جبهة النصرة" الذرائع التالية لتبرير اعتدائها، وهي:

1- **الاتهام بالفساد والإجرام وحماية اللصوص والتعامل مع المخابرات الخارجية والاعتداء على عناصر "جبهة النصرة":** كانت الذريعة المعلنة لقيادة "جبهة النصرة" في قتالها لجبهة ثوار سوريا هي الفساد واللصوصية والتعامل مع المخابرات الغربية[94].

كما كانت معارك جبهة ثوار سوريا الباردة والفاشلة[95]على معسكرات وادي الضيف مادة إعلامية دسمة لـ"جبهة النصرة"[96]، من حيث اتهامها بالتعامل مع النظام، وتمرير الطعام لقواته مقابل المال[97].

وفي السياق ذاته، استغلت "جبهة النصرة" التصرفات السيئة لعناصر فصيل جبهة ثوار سوريا وقامت بتضخيمها فسادها من خلال الدروس الشرعية التي كانت تعطى لعناصرها، إضافة إلى المواعظ والخطب التي كان يقوم بها شرعيوها لتهيئة الناس ودفعها للقبول بالتخلص من "جبهة ثوار سوريا"[98].

2- **البحث عن ثأرأبي عبد العزيز القطري وصناعة المظلومية:** اتهمت "جبهة النصرة" فصيل جبهة ثوار سوريا، وتحديداً جمال معروف، بقتل "أبو عبد العزيز القطري"، لتبدأ بتحشيد "المهاجرين" وبعض فصائل الغلو مثل "فصيل جند الأقصى" الذي كان يتزعمه "القطري" من اجل "الثأر" لمقتل قائدهم[99].

---

94 قال الجولاني في مقابلة صوتية أذاعتها شبكة المنارة البيضاء التابعة ل "جبهة النصرة": "جمال معروف اعتدى على أهالي بلدات في جبل الزاوية وعلى عناصر النصرة هناك، وهو يحمي عددًا من اللصوص وقطاع الطرق"

95 شنت الفصائل عدة معارك فاشلة ضد وادي الضيف والحامدية كان أبرزها: معركة البنيان المرصوص في 2013/4، ومعركة القيامة 16/ 2014/07 والجيش الواحد في 8-2014/9.

96 ركزت "جبهة النصرة" على جبهة ثوار سوريا دوناً عن بقية الفصائل الأخرى التي كانت تشترك معها "جبهة ثوار سوريا" في المعارك، حيث بلغ عدد الفصائل التي كانت ترابط على وادي الضيف بحدود 32 فصيلاً.

97 بدأت الآلة الإعلامية الرديفة للنصرة، والتي سيكون لها دور رئيسي في كل عمليات القتال اللاحقة، بتحميل جبهة ثوار سوريا مسؤولية فشل كل المعارك التي خيضت على تلك الجبهة، نظراً لفسادها وعدم رغبتها أو قدرتها على مواجهة النظام.

ينظر على سبيل المثال: بيان حزب التحرير أدناه، والذي يعد نموذجاً عن الدعاية التي ساندت النصرة آنذاك في حربها ضد "جبهة ثوار سوريا"، https://bit.ly/2Sbmgu2.

98 إن ضخامة تنظيم مثل جبهة ثوار سوريا مع وفرة السلاح والمال، وعدم فتح المعارك على الجبهات، كانت عوامل سلبية أدت إلى حالة من الترهل داخل التشكيل الذي كان أشبه بالتجمعات العسكرية أكثر منه تنظيماً مؤسساتياً، كما دفعت كثيراً من عناصره إلى الممارسات السيئة باسم الفصيل والتي شكلت بدورها دعاية سوداء خدمت أجندة النصرة في تبرير البغي والقتال. ولا شك ان النصرة ومن خلال إعلامها الرديف لفقت الكثير من تهم الفساد التي لا أصل لها دفاعاً عن روايتها في اتهام جبهة ثوار سوريا بالفساد.

99 جاء في شهادة حذيفة عزام على القتال الذي دار بين "جبهة النصرة" وجبهة ثور سوريا أنه، وأثناء الصراع الدائر بين جبهة ثوار سوريا وفصائل الجيش الحر من جهة وبين تنظيم الدولة من جهة أخرى، كانت الروايات التي ترد من إعلام تنظيم الدولة أن جمال معروف يقوم بقتل المهاجرين، هنا قام قائد تنظيم جند الأقصى الذي أخذ دور الحياد بزيارة جمال معروف لثنيه عن قتل المهاجرين، وأثناء الزيارة قتل "القطري" في بيت جمال معروف.
ينظر: شهادة الدكتور حذيفة عزام على الرابط التالي: https://bit.ly/2MAdJvw.

بعد الحشد الإعلامي والعسكري التي قامت به النصرة من خلال الإعلام الرديف، بدأ البغي ضد أحد أكبر فصائل الجيش الحر في جبل الزاوية وعلى مستوى سوريا[100]. كانت البداية بالسيطرة على المناطق الحدودية في حارم وسلقين ودركوش، حيث طردت النصرة كتائب جبهة ثوار سوريا من تلك المنطقة الاستراتيجية بدون أي رد فعل تذكر من قيادة ثوار سوريا خلا بعض الدعوات لـ "محكمة شرعية"، وبقيت التوترات بين الطرفين، إلى أن قررت النصرة إنهاء جبهة ثوار سوريا في عقر دارها في جبل الزاوية.

1-3- تحليل تجربة "جبهة ثوارسوريا" في تعاملها مع فصائل الغلو: عوامل الفشل والسقوط:

مثلت تجربة جبهة ثوار سوريا باكورة المواجهات مع تيار الغلو، حيث استطاعت "جبهة النصرة" القضاء بشكل كامل على أحد أكبر التنظيمات المحسوبة على التيار المعتدل وتيار الجيش الحر، والسؤال الذي يطرح نفسه؟ لماذا فشلت جبهة ثوار سوريا في مواجهة "جبهة النصرة"؟ هل كانت الاستراتيجية التي اتبعتها "جبهة ثوار سوريا" فاشلة؟ ولماذا لم تستطع الوقوف في مواجهة تيار الغلو؟

1-3-1- التنافر الفصائلي وفقدان الحاضنة الاجتماعية:

على الرغم من بعض الأنشطة الخيرية وتوزيع المساعدات للأهالي الذي كانت تقوم به جبهة ثوار سوريا[101]، لم تستطع جذب الحاضنة الاجتماعية الموجودة في جبل الزاوية إلى صفوفها أو على الأقل التعاطف معها والدفاع عنها، ونعتقد أن أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك، التصرفات السيئة التي كانت تصدر عن كتائبها ومجموعاتها، ووجود مشاريع فصائلية أخرى كانت منافسة لـ "ثوار سوريا" لم تكن مرتاحة لتوسعها وازدياد نفوذها في منطقة جبل الزاوية؛ فقد كانت قرى جبل الزاوية –عمق جبهة ثوار سوريا- مقسمة على عدة فصائل، وحتى القرية الواحدة كان تضم عدة فصائل الأمر الذي سهّل على النصرة استغلالا الحساسيات الفصائلية وتقسيم ولاءات الحاضنة الشعبية[102].

وفي السياق الاجتماعي ذاته، تولد لدى بعض العوائل والمكونات الاجتماعية المؤيدة للنظام والتي حملت السلاح معه، وفقدت أبناءها على يد الثورة، حقد وكراهية ورغبة بالانتقام من الثورة، ووجدوا في الانضمام إلى تنظيمات الغلو والتطرف من جند

وقد كشفت المعلومات فيما بعد أن أبي عبد العزيز القطري، قُتل عن طريق الخطأ في بيت جمال معروف من قبل شخص كان قد قُتل أولاده على يد "داعش"، فظن أن أبا عبد العزيز من جماعة الغلاة فبادره بمسدسه الشخصي وقتله.

100 منذ تسريب خطاب أمير "جبهة النصرة"، أبي محمد الجولاني، بعد انحسار "داعش" من ريف حلب الغربي والشمالي في الشهر الثالث 2014 مع وجود ثلة من شباب النصرة في إحدى معسكرات ريف حلب الشمالي، وبحضور الشيخ المحيسني، حيث أكد الجولاني فيه نيته "إقامة إمارة إسلامية في سوريا تجبي الزكاة وتقيم دور العدل وتحارب المفسدين لتقيم شرع الله تعالى"، بدأ العد العكسي لبداية الصراع مع فصائل الجيش السوري الحر وخاصة المدعومة غربياً، والتي توصف بالاعتدال.

101 جبهة ثوار سوريا، الجمعية الخيرية (تقديم المساعدات الإنسانية لأهالي قرية كفررومة في ريف المعرة)، https://bit.ly/2HzoUFS.

102 ذكر الجولاني بصوتية له: "لم يكن القتال كما جرى تصويره بين معروف والنصرة فقط، فقد شاركنا فيه لواءان من صقور الشام ولواءان من أحرار الشام وكذلك جند الأقصى، وجمع من أهالي جبل الزاوية".

ينظر: بهية مارديني، تقرير صحفي: هجوم موسع على ثوار سوريا ومديح لـ "جبهة النصرة"، موقع إيلاف، https://bit.ly/2S6ny9I.

الأقصى و"جبهة النصرة" وسيلة مجدية للانتقام وإعادة الاعتبار الاجتماعي الذي فقدوه في بداية الثورة نتيجة وقوفهم إلى جانب النظام[103].

1-3-2- الاتساع الكمي على حساب الترابط البيني:

توسعت جبهة تحرير سوريا بشكل كبير من حيث الكم العددي ومن حيث الانتشار الجغرافي، وكان هذا التوسع العددي الذي وصل إلى /20/ ألف مقاتل[104]، والتوزع الجغرافي على مناطق الشمال والجنوب، على حساب صلابة البنية الإدارية التي بقيت هشة للغاية، وعلى حساب الانسجام الفكري بين الجنود، خصوصاً فيما يتعلق بالتكوين الفكري الذي يعصم وعيهم من التردد في مواجهة أي مشروع معاد لأهداف الثورة.

لقد انكشفت هذه الهشاشة الفكرية والترهل التنظيمي، أمام صد أول محاولة بغي يتعرض لها الفصيل، حيث لم يقتصر الخذلان على حلفاء جبهة ثوار سوريا من مجلس قيادة الثورة والفصائل المنضوية فيها، ولا الفصائل التي كانت تدعمها جبهة ثوار سوريا، وإنما كان التقاعس من القيادات نفسها داخل الفصيل، حتى أنه لم يقاتل مع قائد جبهة ثوار سوريا إلا فصيله الذي تشكل عام 2012 وهو ألوية وكتائب شهداء سوريا ضمن منطقة جبل الزاوية حيث كانت نهاية الفصيل.

هذا ما يجعلنا نقول إن جبهة ثوار سوريا انتهت بدون حرب تقريباً، ولم تستطع القيادة إقناع جنودها بشرعية المعركة مع "جبهة النصرة". وذلك لأسباب عديدة تتعلق بتكوين الوعي والعقيدة القتالية لدى الجنود والقادة الذين كانوا مبرمجين على قتال النظام، والاتساع العددي على حسب الاعداد النوعي، وغير معدين بشكل جيد لقتال أناس ملتحين يظهر عليهم سيما التدين، ولو كانوا معتدين وغلاة وأصحاب مشروع معاد للثورة.

1-3-3- ضريبة غياب الوعي الثوري:

جاء سقوط جبهة ثوار سوريا في ظرف كانت فيه "الأيديولوجيا الإسلامية" مرتفعة كثيراً عند الفصائل، حتى أن الكثير من عناصر الجيش الحر والفصائل الإسلامية كانوا يرون في "جبهة النصرة" فصيلاً أقرب إليهم من حيث المنهج والسمت والفكر من جبهة ثوار سوريا.

في هذا السياق الزمني، شكلت النصرة في بداية اصطدامها مع جبهة ثوار سورياً عدواً غير واضح ولا مجمع على عداوته من قبل فصائل الجيش الحر، بل إن الكثيرين كانوا يرون فيها حليفاً قوياً للثورة وأقرب إليهم من جبهة ثوار سوريا وهذا الأمر كان لدرجة أن جنوداً من جبهة ثوار سوريا لم يقتنعوا بالدفاع عن أنفسهم ضد النصرة على اعتبار أن النصرة لا تستهدف الجنود إنما تريد القيادات فقط.

103 بحسب معلومات ميدانية حصل عليها الباحث، فأن التقديرات تشير لأكثر من 400 عميل للنظام في جبل الزاوية تمت محاسبتهم في بداية الثورة.

104 مقابلة للباحث مع أحد قيادات جبهة ثوار سوريا، تاريخ 19/ 12/ 2018.

ثم إن طبيعة المرحلة التي كانت تشهد المعارك الضارية بين فصائل الثورة والنظام كانت تقيّم الفصائل بناء على الأداء العسكري وهو ما تفوقت به "جبهة النصرة" على جبهة ثوار سوريا من حيث الإعلام، ولم يُلتفت آنذاك إلى خطورة مشروعها السياسي.

لعل مشكلة جبهة ثوار سوريا أنها المنازل الأول ل "جبهة النصرة" والتي جاءت في وقت لم تكشف فيه خطورتها، وكان جمهور الثورة متعاطفاً مع النصرة التي تُستهدف عناصرها وقادتها من التحالف الدولي والذي هو حليف لجبهة ثوار سوريا، وتضرب مقارها بطائرات هذا التحالف وهي "تدافع عن الشعب السوري".

1-3-4- التأثير الخارجي في المعادلة:

تشكلت قناعة لدى غالبية قادة جبهة ثوار سوريا، وإن كانت غير معلنة، أن هناك عاملاً دولياً يريد اختصار الساحة إلى لونين لا ثالث لهما "اللون الإسلامي" و"لون النظام"، ولا يرغب بوجود لون ثالث هو لون الجيش السوري الحر، وكانت هناك مصالح كبيرة عند الفصائل الإسلامية بإنهاء جبهة ثوار سوريا لإزاحة منافس له انتشار واسع ومدعوم إقليمياً ودولياً، ولو جاءت هذه الإزاحة على يد "جبهة النصرة"، ظناً من هذه الفصائل أن سلسلة الاعتداء ستتوقف عند ابتلاع جبهة ثوار سوريا ولن تصل إليهم.

كان لتضخم جبهة ثوار سوريا التي كانت أكبر فصيل في الجيش الحر، مع امتداد واسع في الجبهة الجنوبية في درعا عاملاً ملفتاً للنظر، ومؤشراً على خطورة هذا الفصيل الذي كان يملك وجوداً قويا على الأرض، خصوصاً أن كثير من الدول الداعمة لم تكن ترغب بوجود فصائل كبيرة في الثورة السورية.

1-3-5- الفشل في اختبار ردة الفعل:

لم تبدأ النصرة اعتداءها على جبهة ثوار سوريا من عرينها ومركز قوتها في جبل الزاوية، وإنما بدأت بضربات اختبارية والطعن في الأطراف، فبدأت بتفكيك الكتائب التابعة لجبهة ثوار سوريا على طول الشريط الحدودي في منطقة حارم _ سلقين _ دركوش، ثم انتقلت حفسرجة وبداما، ولم يتحرك مركز جبهة ثوار سوريا لرد الاعتبار لجنودها وكتائبها وإنما اكتفت بالمطالبة بمحكمة شرعية لم تنعقد إلى اليوم. الأمر الذي أعطى مؤشراً ل "جبهة النصرة" عن هشاشة ارتباط مكونات جبهة ثوار سوريا ببعضها البعض، وعدم وجود العصبة المقاتلة التي تنفر لمواجهة أي استهداف لمعقلها في جبل الزاوية في المستقبل.

1-3-6- خطاب سياسي وطني نظري فاقد للبرامج العملية:

مع ما تميز بها خطاب جبهة ثوار سوريا من وطنية واضحة، يحمل معالم الأدبيات السياسية التي انطلقت منها الثورة السورية من الحرية والديمقراطية وحق الشعب السوري في تقرير مصيره وبناء الدولة التي يريد.

لكن هذا الخطاب الذي كان يصدر للإعلام في الخارج لم يتحول إلى برامج تثقيفية إلى العناصر والجنود والقيادات في الصفوف الأدنى، ضمن دورات ودروس منهجية، وكانت الدروس والتوجيه الذي يستهدف النظام يدور حول بعض التوجيهات الشرعية عن الجهاد وقتال النظام.

ولم تعمل جبهة ثوار سوريا على إيجاد خلية من المفكرين والأقلام التي تنتج المادة السياسية لتثقيف الجنود، كما فعل فصيل "تجمع فاستقم" في مدينة حلب على سبيل المثال، واكتفت بالاعتماد على عامل القوة العسكرية والشجاعة القتالية عند جنودها. مما أفرغ المقاتلين والجنود من أي عقيدة قتالية ضد الذين يستهدفون الثورة السورية وأهدافها ومشروعها من فصائل التطرف والغلو. ورفض قتال المسلمين، خصوصاً أن "جبهة النصرة" ألبست اعتداءها لباس محاربة الفساد، ومقاتلة عملاء أمريكا، ولم تعلن صراحة عن تكفير جبهة ثوار سوريا، تحاشياً من تهمة الغلو[105].

1-3-7- إدارة إعلامية فاشلة للمعركة:

رغم المكان الحصين الذي تتمتع بها منطقة جبل الزاوية والذي كانت تعول عليه قيادة جبهة ثوار سوريا في صمودها ورد اعتداء النصرة، لكنه لم يكن ذا تأثير كبير خصوصاً، أن الكثير من الكتائب رفضت الخروج لمواجهة أرتال النصرة، لأنها لم تقتنع بالمعركة.

ففي الإدارة الإعلامية كان الظهور المتكرر لقائد جبهة ثوار سوريا وهو يمشي أمام الكاميرا وبكلمات مرتجلة، وهو يحمل بارودته متجعباً ويحمل معه الجهاز اللاسلكي، يعطي دلالة واضحة على كمية الارتباك الداخلي في صفوف جبهة ثوار سوريا وعدم التماسك فيما بين مكوناتها، وأن ظهور القائد كان نوع من رفع المعنويات المنهارة ورسالة للجنود ليتماسكوا[106].

1-3-8- التعويل على الوساطات وخيار"المحكمة الشرعية":

كانت جبهة ثوار سوريا تتعامل مع طلبات النصرة في الاحتكام للجنة شرعية، وترسل الوساطات بشكل غير معلن ل "جبهة النصرة"، حتى أن قائد جبهة ثوار سوريا تورط ببيعة غير معلنة لجبهة لنصرة بحسب شهادة الدكتور حذيفة عزام[107].

كما كانت قيادة جبهة ثوار سوريا ترفض إظهار الخلافات على الإعلام والعلن بناء على نصائح بعض المشايخ لأسباب متعددة، من أهمها تجنب الفتنة وتركيز المعركة مع جيش النظام[108].

وعليه فقد كان تعويل قيادة جبهة ثوار سوريا على الوساطات والمبادرات وتشكيل اللجان والمحاكم الشرعية[109]، والذي كانت النصرة تستغله لكسب الوقت، بينما كانت جبهة ثوار سوريا تنتظر أن تثمر هذه المبادرات في كف بغي "جبهة النصرة" التي كانت تتقدم على الأرض وتحسم المعركة.

---

[105] ينظر: بهية مارديني، تقرير صحفي: هجوم موسع على ثوار سوريا ومديح ل"جبهة النصرة"، مصدر سابق.

[106] قائد جبهة ثوار سوريا جمال معروف يتوعد الجولاني و"جبهة النصرة"، الرابط: https://bit.ly/2CNf3GR.

[107] شهادة الدكتور حذيفة عزام على الرابط التالي: https://bit.ly/2MAdJvw.

[108] جاء في جلسة لجمال معروف قائد جبهة ثوار سوريا مع أحد قادة فيلق الشام، أنهم لا يريدون فتنة في ظل هجمات جيش النظام، ووجود معركة في وادي الضيف، والخشية من تأثير المواجهة على معركة وادي الضيف ومعركة مورك، والخوف من تأثير المواجهة على مشروع مجلس قيادة الثورة.

ينظر: جلسة جمال معروف مع أحد قادة فيلق الشام، الرابط: https://bit.ly/2MAi7dY.

[109] طرحت الجبهة الإسلامية مبادرة لوضع حد للقتال الدائر في أكثر من منطقة بالريف بين "جبهة النصرة" وجبهة ثوار سوريا، تركز بشكل أساسي على وقف فوري للقتال بين الأطراف المتنازعة وإطلاق الأسرى من الطرفين.

كما أن عدم صمود مقاتلي جبهة ثوار سوريا ضد النصرة وعدم رغبتهم في القتال أفقد "ثوار سوريا" أوراق الضغط العسكري التي تجبر النصرة على الانصياع للمحكمة الشرعية، فبعد محاصرة جبهة ثوار سوريا في بعض قرى جبل الزاوية لم تجد النصرة حاجة للانصياع للمحكمة الشرعية طالما أن المعركة قد حسمت على الأرض.

جدول مقارنة بين جبهة ثوارسوريا و"جبهة النصرة":

مقارنة بين "جبهة النصرة" وجبهة ثوارسوريا		
المقارنة	"جبهة النصرة"	جبهة ثوارسوريا
القيادة	قيادة مركزية تقود من الخلف وتسيطر على التنظيم بشكل محكم	قيادة ميدانية غير مسيطرة على الفصيل، وجنود غير واثقة بقيادتها في معركتها مع تنظيمات الغلو
العدد	العدد من 4000 -5000 ألاف مقاتل في الشمال	ضخامة في العدد يتجاوز 7000 مقاتل في الشمال
الإعلام	حملة إعلامية قوية قبل عملية البغي لشيطنة جبهة ثوار سوريا وتبرير استئصالها.	إعلام ضعيف مأخوذ بردة الفعل، أكثر منه فعل إعلامي منظم ومدروس
الأداء الأمنية	شراء مجموعة واختراق لصفوف جبهة ثوار سوريا، مع تحييد عدد كبير من الكتائب.	عمل أمني ضعيف
الحاضنة الشعبية	حاضنة شعبية متعاطفة النصرة قبل القتال مع جبهة ثوار سوريا.	حاضنة شعبية متأرجحة مع عدم وجود مبادرات تصالحية مع المتضررين من الثورة، ممن قام ثوار جبل الزاوية بمحاسبتهم.
التسليح	تسليح لا بأس به	تسليح قوي وسلاح ثقيل ضخم موزع على الرباط ومستودعات ذخائر كبيرة
الحلفاء	جند الأقصى، وكتائب غير معلنة من فصائل أخرى	جزء من جبهة ثوار سوريا، (كتائب وألوية، شهداء سوريا)

وحملت المبادرة توقيع رئيس مجلس الشورى وقائد ألوية "صقور الشام"، "أبو عيسى الشيخ"، وطالبت "جبهة النصرة" الانسحاب من مدينة حارم وباقي المناطق التي اقتحمتها مؤخراً، فيما طالبت جبهة ثوار سوريا بفكّ الحصار عن مقرات "النصرة" التي تحاصرها، وعرضت الجبهة الإسلامية على الطرفين، نشر قواتها في المناطق التي تشهد خلافات كطرف حيادي.

كذلك دعت المبادرة إلى تشكيل قوة مشتركة من جميع الفصائل، تتولى مهمة "محاربة الفاسدين وتقديمهم للمحاكم الشرعية"، إضافة لتشكيل لجنة شرعية مستقلة، تكون مهمتها الفصل في النزاعات التي قد تنشأ بين هذه الفصائل.

ينظر: الجبهة الإسلامية تطرح مبادرة لحل الخلاف بين "جبهة النصرة" وجبهة ثوار سوريا، 2014/7/24، الرابط: https://bit.ly/2UjlY1k.

الانتشار	على كل المناطق المحررة والثقل الكبير في محافظة إدلب	على كل المناطق المحررة والثقل في محافظة إدلب
الخطاب الشرعي	خطاب شرعي مركز في المعسكرات على قتال المفسدين، وتكفير مبطن.	خطاب شرعي تصالحي والتحذير من سفك الدماء وحرمة دماء المسلمين.
الاستراتيجية	عمل هجومي منظم ومدروس	عمل دفاعي بدائي وتحصين هش.
القيادة	قائد له تجربة في العراق والتنظيمات المسلحة أكثر من خمس سنوات	قائد شعبي كان يعمل في مهنة البناء قبل الثورة
العمر التأسيسي	النصرة شكلت منتصف 2012	جبة ثوار سوريا أعلن عنها في كانون الأول 2013 وهي تطور وتوسع عن شهداء سوريا
المشروع السياسي	إمارة تغلب غير معلنة مع وجود أدوات، والاختباء وراء المشروع الوطني لاحقاً.	مشروع وطني بدون أدوات
المنظومة الفكرية	سلفية جهادية	تدين محلي معتدل بدون فاعلية
التنظيم الإداري	نظام القواطع، والمناطق الجغرافية، مما يعكس طبيعة الهدف المتمثل بالسيطرة على الجغرافيا	نظام الوحدات والكتائب ورقي أكثر منه فعلي، مما يعكس طبيعة الاستراتيجية القائمة على السيطرة على الفصيل فقط
الجهاز الإداري	مجموعة من سجناء صيد نايا ومقاتلي العراق والأجانب والمشايخ	مجموعة كبيرة من الضباط المنشقة عن النظام
الخسائر البشرية	بحدود 70 قتيل	حوالي 19 قتيل
الحليف الدولي	أداة استخباراتية وظيفية لإجهاض الثورة وصبغها بالسود، وأداة لسحق أي فصيل	الوقوع بين الاستقطاب القطري السعودي
التعامل مع الأقليات	الإكراه على الإسلام وفتح المساجد بمناطق الدروز، ثم تنفيذ مجزرة في بلدة قلب لوزة، بدون محاسبة الفاعل	قيام قائد جبهة ثوار سوريا بزيارة لقرى الطائفة الدرزية والتعهد بالحماية تحت سقف المواطنة
التصنيف الدولي	تصنيف ضمن قوائم الإرهاب وأعيد التصنيف، بعد تغيير المسمى إلى فتح الشام وإعلان فك الارتباط عن القاعدة في 29 تموز/يوليو 2016	تصنف ضمن الفصائل المعتدلة والمدعومة غربياً

2- تجربة جيش الإسلام في التعامل فصائل الغلو:

جيش الإسلام هو تنظيم عسكري سوري معارض شُكل خلال الثورة السورية، ويعد من أكبر الفصائل العسكرية "الإسلامية" في الثورة السورية، وشارك في تأسيس العديد من الهيئات العسكرية والسياسية المعارضة للنظام.

فبعد أشهر من انطلاق الثورة السلمية في سوريا وقمع النظام لها بالقوة العسكرية، تشكلت في غوطة دمشق الشرقية مجموعة مسلحة صغيرة تحت اسم "سرية الإسلام" في سبتمبر/أيلول 2011، واقتصرت عملياتها على التصدي لقوات النظام في محيط مدينة دوما، وتطورت السرية بعد أشهر لتصبح "لواء الإسلام"، ومن ثم تحولت إلى ما يعرف الآن بـ"جيش الإسلام" بعد مجموعة من الاندماجات مع كتائب من الغوطة الشرقية، وامتداد الجيش إلى الكثير من المحافظات السورية.

يُصنف "جيش الإسلام" على أنه يتبنى الفكر السلفي الدعوي، حيث يؤهل مقاتليه وفق العقيدة الإسلامية معتمداً منهجاً معتدلاً، ويضيف على لسان قائده زهران علوش أن منهجه هو: الإسلام الذي يضم القواعد الأساسية من العدل والإنصاف والحق، ولكن يؤخذ على هذا التوصيف عمومتيه وعدم توضيحه للأهداف السياسية التي يسعى إلى تحقيقها، ولا طريقة تحقيقها[110].

وبشكل عام توضح تصريحات قيادات "جيش الإسلام" أنه يسعى لإسقاط النظام الحالي في سوريا وإقامة نظام يلتزم بأحكام الشريعة الإسلامية[111].

وقد تميزت تجربة جيش الإسلام في تعامله مع فصائل الغلو بنجاح نسبي؛ حيث تمكن من القضاء على تنظيم "داعش" في الغوطة الشرقية[112]، وتمكن من طرد "النصرة" من مناطق سيطرته داخل الغوطة، ولم يتمكن من القضاء عليها بشكل كامل في كامل الغوطة الشرقية[113].

2-1- مقاربة جيش الإسلام في مواجهة فصائل الغلو:

اعتمد جيش الإسلام سياسة متعددة الجوانب شرعياً وسياسياً وأمنياً وعسكرياً في تعامله مع الغلو وفصائله.

2-1-1- مقاربة جيش الإسلام الشرعية والسياسية في مواجهة الغلو:

1- لقد كان مؤسسو جيش الإسلام من المتابعين لأحداث أفغانستان والجزائر والصومال فكانوا يُراقبونها عن كثب، ورأوا أن من أهم أسباب فشل التجربة دور تنظيم القاعدة وفروعه[114]، لذلك كانت الذاكرة التاريخية لدى قادة

---

[110] جيش الإسلام. يد تحارب الأسد والأخرى تنظيمَ الدولة، موسوعة الجزيرة، الرابط: https://bit.ly/2NqI7J6.

[111] مقابلة تلفزيونية على قناة الجزيرة مع زهران علوش قائد جيش الإسلام أجراها تيسر علوني، برنامج لقاء اليوم، الرابط: https://bit.ly/2SY5ZcZ.

[112] تقرير صحفي: جيش الإسلام يطرد "داعش" من آخر معاقلها في الغوطة الشرقية، أورينت نت، 2014/7/1، الرابط: https://bit.ly/2sM3xa9.

[113] وقعت عدة معارك بين جيش الإسلام و"جبهة النصرة" أهمها: المعركة الأولى بتاريخ ٢٠١٦/٤/٢٨، والتي انتهت بسلب سلاح جيش الإسلام، ثم المعركة الثانية، والتي استعاد فيها جيش الإسلام مدينة مسرابا الملاصقة لمدينة دوما بتاريخ ٢٠١٦/٦/٢٩، والمعركة الثالثة كانت بتاريخ ٢٠١٧/٤/٢٨، والتي انتهت بإرجاع قسم كبير من سلاح جيش الإسلام وتلاشي تنظيم تحرير الشام "جبهة النصرة".

[114] ينظر على سبيل المثال: مقطع فيديو لرئيس الهيئة الشرعية لجيش الإسلام "سمير كعكة" عن حقيقة "جبهة النصرة". الرابط: https://bit.ly/2TltrwS.

الجيش حاضرة في تعاملها مع "جبهة النصرة" و"تنظيم الدولة" والبدء بوضع خطة استباقية لمواجهة خطر هذه التنظيمات.

2- كان للحملات الشرعية والدعوية التي تقوم بها الهيئة الشرعية لجيش الإسلام دوراً كبيراً في الرد على شبهات هذه التنظيمات، كالمناظرات والدروس التعبوية في المقرات، إضافة إلى تقدم طلاب العلم في الجيش لصفوف المقاتلين لهذه التنظيمات[115].

3- العمل على تفكيك المنظومة الفكرية للقاعدة والتي بنت عليها منهجها، في مسائل الإيمان والكفر، وتكفير الحاكم، ومسائل البراء والولاء، ونسف أدبيات القاعدة وهدم فكرة جهاد النخبة...إلخ[116].

2-1-2- مقاربة جيش الإسلام العسكرية والأمنية في مواجهة الغلو:

1- أعطت المركزية الإدارية لجيش الإسلام القيادة القدرة على اتخاذ القرار بقتال ومواجهة هذه التنظيمات بسهولة ودون معوقات وتردد.

2- العمل على عرقلة دخول تنظيم القاعدة إلى غرف العمليات، أو الاشتراك معهم في المعارك وعدم الخضوع لمزاوداتهم في هذه القضية، وإفشال مخططاتهم للحصول على السلاح النوعي، مع كشف حقيقة أنهم لا يرابطون على ا لثغور.

3- إنشاء جهاز أمني ضمن الهيئة الأمنية منذ البداية ومكافحة الفكر التكفيري وخلاياه ومن يتعامل معهم، ومنعهم من اتخاذ أي مركز أو مقر أو مسجد لنشر فكرهم ونشاطهم في مناطق نفوذ الجيش، إضافة إلى إعداد بنك أهداف لأماكن تواجدهم وتحصنهم؛ فكانت نسبة 50 % من المعركة أمنية، و50 % عسكرية، كما عمل الجهاز الأمني على اختراق صفوفهم، واحباط خططهم التي كانت تستهدف اغتيال عدداً من قادة جيش الإسلام.

2-1-3- مقاربة جيش الإسلام الإعلامية في مواجهة الغلو:

التوعية الداخلية في الجيش، وإنتاج إصدارات مرئية تظهر فسادهم وكيف دمروا الجهاد والثورات في عدد من الدول، وعقد محاضرات لقادة الجيش الذين عاصروا بعض منظري القاعدة في السجون، كما كان للحملات التوعوية للحاضنة الشعبية دور كبير في تبين فساد هذه التنظيمات، كما كان للنشاط على وسائل التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في هذه المجال.

2-2- خلاصة تجربة جيش الإسلام في التعامل مع فكر الغلو وفصائله:

1- تميز جيش الإسلام عن غيره من الفصائل بأنه كان يحمل عقيدة قتالية واضحة ضد تنظيمات الغلو والتطرف باعتبار هذه التنظيمات تنظيمات غلو وتكفير لا يصلح معها إلا المفاصلة[117].

---

[115] ينظر على سبيل المثال: مقطع فيديو يوضح انطلاق جيش الإسلام لقتال "داعش" في ميدعا، حيث كان على رأس الحملة قائد جيش الإسلام "زهران علوش" والشرعي العام "أبو عبد الرحمن كعكة"، الرابط: https://bit.ly/2sRWblj.

[116] من المبادئ التي قدمها جيش الإسلام من أجل تفكيك المنظومة الفكرية لـ "جبهة النصرة" ما يلي: وصفهم بالخوارج من بداية أمرهم، وبيان أن الجهاد في سوريا هو جهاد دفع فقط ولا يشترط له الراية، وشرح فكرة تطبيق الشريعة التي تتخذها القاعدة سلعة في الترويج لمشروعها، وأن ذلك لا يختصر في العقوبات البدنية والحدود، والتركيز على فكر الاستضعاف في الثورة السورية.

[117] نود الإشارة إلى أنه، وعلى الرغم مما كان للبعد الأيديولوجي من أهمية كبيرة في توحيد موقف عناصر جيش الإسلام ضد تنظيمات الغلو والتطرف، كان لهذا البعد دوراً سلبياً في استثارة بعض الفصائل "الشعبوية" ضد جيش الإسلام؛ بسبب الخلافات المنهجية بين (أشعري، سلفي)،

2- لم يكن العامل الإيديولوجي هو العامل الوحيد في النجاح النسبي الذي حققه جيش الإسلام في مواجهة تنظيمات الغلو والتطرف، فقد كان للبعد المناطقي والعصبية الاجتماعية في مدينة دوما دوراً كبيراً في التماسك التنظيمي لجيش الإسلام، والذي كان غائباً عن فروع جيش الإسلام في الشمال السوري تماماً.

3- كانت شخصية القائد زهران علوش الميدانية والجدية والمنظمة إداريا وأمنياً ولوجستياً لها الأثر الكبير في سرعة تحريك الجنود واستجابتهم للأوامر العسكرية.

4- لقد كانت خلاصة تجربة جيش الإسلام هي نجاح في حدود تغلب المركز على الأطراف، حيث أن مركز جيش الإسلام كان في الغوطة، وهو المكان الذي حقق فيها نجاحاً كبيراً في تفكيك تنظيم الدولة، بينما لم يكن النجاح موفقاً تماماً في تفكيك "جبهة النصرة" قياساً على كم الخسائر.

بالمقابل لم يكن رأس تنظيمات الغلو في الغوطة الشرقية وإنما كان في إدلب والرقة، وهو الأمر الذي قد يعذر به جيش الإسلام بسبب الحصار الشديد الذي عانى منه طيلة خمس سنوات متواصلة.

خصوصاً مع تلميحات وتصريحات من قيادة جيش الإسلام عن شرعية التغلب لتوحيد الغوطة الشرقية، مما دفع بهذه الفصائل للتكتل ضد الخطر المحتمل من جيش الإسلام.

3- تجربة "جيش الفتح" في التعامل مع فكر الغلو وفصائله:

تأسس "جيش الفتح" يوم 24 آذار 2015 بتوحد سبع مجموعات كبرى من الفصائل المسلحة في الشمال السوري، وقد تكوّن هذا الجيش من فصائل: "أحرار الشام"، و"جبهة النصرة"، و"جند الأقصى"، و"جيش السنة"، و"فيلق الشام"، و"لواء الحق"، و"أجناد الشام". وقُدر عدد مقاتلي "جيش الفتح" آنذاك بعشرة آلاف مقاتل، أغلبهم من فصائل أحرار الشام، والنصرة، وفيلق الشام، وأجناد الشام[118].

بدأ "جيش الفتح" معاركه باتجاه إدلب، واستطاع بفترة وجيزة اكتساح إدلب وتحرير المعسكرات المحيطة بها، إضافة إلى مدينتي أريحا وجسر الشغور.

بعد التحرير ظهرت ملفات أساسية أمام فصائل جيش الفتح كالملفات التعليمية والخدمية والإغاثية والمحلية، والسؤال الذي يطرح نفسه، كيف كان تعامل الفصائل داخل جيش الفتح مع فكر الغلو وفصائله في هذه الملفات وغيرها؟

3-1- الظهور الإعلامي والتعامل مع الأقليات: غياب كامل لأي مظاهر ثورية:

لكن لم يتم استثمار المكتسبات العسكرية على الأرض إلى مكتسبات سياسية لصالح الثورة بل منع أي إبراز للون الثورة أو حتى مجرد رفع علم الثورة[119]. وأعطيت صورة إعلامية سيئة لتحرير إدلب، استطاع النظام السوري أن تأكيد روايته: ("الجماعات المتطرفة" هي المسيطرة على إدلب).

فقد كان عبد الله المحيسني السعودي "المصنف على قوائم الإرهاب"، هو الأكثر ظهوراً على الشاشات الإعلامية[120]، وأذاع أبو محمد الجولاني "المصنف على قوائم الإرهاب" "خطاب النصر" بصوتية له[121]. وبالتالي لم تستطع مكونات جيش الفتح من الفصائل القريبة إلى الثورة تغيير الصورة الإعلامية التي ظهرت فيها عملية التحرير.

---

118 تشكل جيش الفتح في ظروف كانت الفصائل تجر الهزيمة على جبهة الساحل بعد وصولها إلى البحر. كانت "جبهة النصرة" هي المبادر لفكرة جيش الفتح وقد حددت الاسم لهذا الجيش، والفصائل التي ستعمل معها، وكانت أحرار الشام ترى أن الأولوية في المعارك العسكرية هي لمعاقل النظام في الساحل لكن بحسب المداولات كان هناك استبعاد من النصرة لجبهة الساحل واختيار إدلب"، وذلك بحسب شهادات شفوية حصل عليها الباحث من بعض قادة حركة أحرار الشام.

وهكذا وُجهت القوة العسكرية الضاربة للفصائل من الهدف الاستراتيجي حيث مقتل النظام في دمشق والساحل، إلى تحرير إدلب. خشيت حركة أحرار الشام من تفرد "جبهة النصرة" في السيطرة على إدلب، خصوصاً بعد الكلام المسرب عن نية الأخيرة تشكيل إمارة في الشمال السوري، فقررت الدخول في جيش الفتح متأخرة.

مع ذلك كانت هنالك أصوات تحذر من أن مشروع جيش الفتح هو استنساخ لمشروع مجلس شورى المجاهدين في العراق الذي استطاعت "داعش" من خلاله تفكيك فصائل المقاومة العراقية لصالح القاعدة.

119 ناشط يروي لـ "السورية نت" توضيحات "جيش الفتح" لمنع علم الثورة بمناطقه، السورية نت، 2016/3/11، الرابط: https://bit.ly/2CS5HK0.

120 ينظر: د. عبد الله المحيسني في شهادته على تحرير إدلب، قناة الأورينت، الرابط: https://bit.ly/2Roezw8.

121 الجولاني: النصرة لا تسعى لحكم إدلب، الجزيرة نت، 2015/4/1، الرابط: https://bit.ly/2Bd8jC3.

وفي السياق ذاته، حصلت تجاوزات على الأقلية المسيحية وممتلكاتها في الأيام الأولى من تحرير إدلب، وكان المسؤول عنها هو " فصيل جند الأقصى"، وحاولت الفصائل "المعتدلة" منع تلك الانتهاكات وتوفير الحماية لأفراد الأقليات وممتلكاتهم ودور عبادتهم[122].

وقد صدر تقرير من منظمة العفو الدولية (أمنستي) يدين فيها تجاوزت لجيش الفتح ضد الأقليات المسيحية في المدينة[123]، وقد ردت حركة أحرار الشام برد مطول على منظمة العفو الدولية تفند فيه اتهاماتها[124].

2-3- إدارة إدلب: بين "مجلس شورى الفتح" و"إدارة مدنية" :

عقب تحرير إدلب، كانت الكثير من أصوات الناشطين والكّتاب تحاول أن تستثمر هذا الانتصار العسكري إعلامياً وسياسياً من خلال إبراز الوجه المدني وتمكين القوى المدنية والشعب من انتخاب إدارة إدلب[125]، وكان هذا رأي بعض مكونات جيش الفتح كأحرار الشام وفيلق الشام[126]، لكن الضغط الكبير كان من تنظيم جند الأقصى والنصرة على أحقية المجاهدين في إدارة إدلب، وهنا وجدت بعض الفصائل أنها ستخرج من المشهد إذا أصرت على الإدارة المدنية وستنفرد النصرة وجند الأقصى ومن معهم بإدارة مدينة إدلب[127].

بعد المضي بفكرة تولي الفصائل لإدارة المناطق التي حررها جيش الفتح، حاولت الفصائل "المعتدلة" إظهار الإدارة بمظهر مدني ولو "شكلياً"، فكان اعتماد تسمية محافظ بدلاً من والي، واستلم منصب المحافظ اثنان مقربان من حركة أحرار الشام[128].

ثم بضغط من "جبهة النصرة" وجند الأقصى تم العدول عن فكرة "نظام المحافظة" بحجة أنه مشابه للنظام الإداري لدى النظام، والانتقال إلى نظام الإدارة عبر ما يسمى "مجلس شورى جيش الفتح"[129] ومعهم "اللجنة الشرعية"[130]. ومن هنا بدأت الفوضى الإدارية والاستقطاب الحاد بين أحرار الشام والفصائل القريبة منها وبين "جبهة النصرة" وجند الأقصى والفصائل القريبة منها.

---

122 مسيحيو ريف إدلب لا عيد هذه السنة أيضاً، المدن، 2016/12/23، الرابط: https://bit.ly/2HFtaUn.

123 تقرير حقوقي: لقد كان التعذيب عقاباً لي، منظمة العفو الدولية، 2016/7/5، ص32-35، الرابط: https://bit.ly/2HROITI.

124 "أحرار الشام" ترد على "أمنستي"، السورية نت، 2016/7/14، الرابط: https://bit.ly/29Gdvj9.

125 ينظر على سبيل المثال: د. برهان غليون، المعارضة السورية وتحدي الأرض المحروقة، موقع برهان غليون، 2015/4/3، الرابط: https://bit.ly/2G8ph7S.

126 بحسب شهادة شفوية من أحد قادة فيلق الشام للباحث.

127 كان "لواء الحق" المعروف بامتلاكه للعتاد الثقيل، مبايع سراً للنصرة، وكان صوته دائما لصالح النصرة.

128 هما مضر حمدون من بنش ثم جاء من بعده بلال جبيرو من مدينة إدلب.

129 كان مجلس الشورى يضم (أحرار الشام + صقور الشام /7/ أصوات، "جبهة النصرة" /5/ أصوات، جند الأقصى /3/ أصوات، فيلق الشام /3/ أصوات، جيش السنة /صوتان/، أجناد الشام /صوت واحد/).

130 ضمت اللجنة الشرعية: عبد الله المحيسني (سعودي الجنسية) وهو قاضي جيش الفتح، محمد عبد السلام (مصري الجنسية)، عبد الرزاق المهدي (سوري الجنسية).

بعد الفشل الذي منيت به إدارة جيش الفتح خصوصاً في شقها المدني، عمدت إلى إجراء "انتخابات شعبية" لاختيار أعضاء مجلس محلي، رأى فيها البعض محاولة التفاف على الجهات الداعمة التي رفضت التعامل مع العسكر، بينما اعتبر آخرون أن جيش الفتح لن يسلم المدنيين الإدارة بكامل الصلاحيات، وسيواصل التدخل في تنظيم شؤون المدينة[131].

مع محاولة "مجلس المدينة الجديد" تنظيم شؤون المدينة والنهوض بالواقع الخدمي فيها، عمدت "إدارة جيش الفتح" إلى المماطلة في تسليم الملفات الإدارية والخدمية، حيث لم يتسلم المجلس سوى "مديرية الخدمات" و"دائرة الأفران" ومؤسستي الكهرباء والمياه؛ أي القطاعات المُنهَكة، والتي يصعب تشغيلها في ظل ضعف التمويل والإمكانات، الأمر الذي أفضى إلى ضعف الحاضنة الشعبية للمجلس، وهو ما حقق على ما يبدو مراد "إدارة جيش الفتح" التي أبقت بقية الدوائر العامة في مدينة إدلب بيدها، من دون الإيفاء بمذكرة التفاهم الموقعة سابقاً مع "المجلس المحلي في مدينة إدلب".

ثم أقدمت هيئة تحرير الشام على إنهاء عمل المجلس المحلي لمدينة إدلب بعد تشكيلها الإدارة المدنية التابعة لها[132].

مما تقدم، نلحظ الفشل الذريع الذي مُنيت به فصائل الثورة في تعاملها مع فصائل الغلو على المستوى الإداري، حيث استطاعت الأخيرة فرض أجندتها ورؤيتها "الإدارية"، بما تملكه من "بروباغندا تطبيق الشريعة الإسلامية"، والذي استطاعت من خلاله إجبار بقية الفصائل على المضي معها في خطوات مثلت مقتلاً لملف إدارة المحافظة: مثل إخضاع الإدارة للمحاصصة الفصائلية بعيداً عن معايير الكفاءة، وإدخال أشخاص أجانب في اللجنة الشرعية، ورفض رفع علم الثورة ...إلخ، مروراً بتشكيل مجلس محلي "مدني"، وانتهاء بحله والسيطرة المباشرة على مفاصل الإدارة في المدينة.

3-3- الملف التعليمي: في عهدة "نظام الأسد":

كان الملف التعليمي ثقيل الحمل على إمكانيات جيش الفتح المادية، فنفقات المدارس ورواتب المعلمين كانت أضخم من أن يستطيع تأديتها، وقد رفضت المنظمات التي تواصلت معها إدارة جيش الفتح لدعم الملف التعليمي بحجة سيطرة إدارة جيش الفتح عليه. حتى أن بعض المنظمات أوقفت نشاطها في دعم التعليم بعد الاعتداء عليها من قبل "جبهة النصرة"[133].

بعد رفض المنظمات دعم الملف التعليمي، لم يبق أمام "إدارة جيش الفتح" إلا أحد خيارين لإدارة هذا الملف: إما إبقاءه بيد النظام، أو الاستعانة بالحكومة المؤقتة التابعة للائتلاف، ثم بعد المداولات اتخذ "شورى الفتح" قراراً بإبقاء الملف التعليمي بيد النظام، وترك الغالبية العظمى من مدارس المحافظة تحت إشرافه، مبرراً ذلك بأن المفسدة المترتبة على هذا الأمر أقل من مفسدة إدخال الحكومة المؤقتة التي تحمل "مشروع الائتلاف العلماني"[134].

---

131 تقرير صحفي: تحت ضوء الديمقراطية: مجلس مدينة إدلب الأول، شبكة شام، 2017/1/20، الرابط: https://bit.ly/2k94h2u.

132 تقرير صحفي: "تحرير الشام" تنهي "مجلس مدينة إدلب"، المدن، 2017/8/29، الرابط: https://bit.ly/2TbPXvn.

133 تقرير: بعد الاعتداء على كوادرها.. منظمة "Save The Children" تعلّق مشاريعها في سوريا، أخبار الآن، 2015/10/19، الرابط: https://bit.ly/2GFOc3Q.

134 بحسب فتوى "شورى الفتح" فإن "شرعية حكومة النظام الكافر" زائلة، بعكس "شرعية الائتلاف العلماني" التي يمكن أن تحظى بقبول لدى الحاضنة، وتشكل مشروعاً منافساً لمشروع "المجاهدين الإسلامي"، وبالتالي فإن بقاء الأولى أقل مفسدة من إدخال الثانية، وعلى هذا الأساس لم يسمح للحكومة المؤقتة بالإشراف على ملف التعليم.

أثبتت الفصائل في هذا الملف كذلك عدم قدرتها على مواجهة مشاريع الغلو، واضطرت مرة أخرى لمسايرتها، مما أدرى إلى نتائج كارثية لاحقاً انعكست على العملية التعليمية برمتها، خصوصاً من جهة فوضى الإشراف وتعدد المرجعيات.

3-4- الملف القضائي: في قبضة "فصائل الغلو":

تشكلت من الفصائل المشاركة في جيش الفتح لجنة لإدارة القضاء في مدينة إدلب من خلال انتداب مندوب عن كل فصيل، وقد تشكلت الهيئة القضائية لجيش الفتح من الشرعيين المنتسبين لفصائل جيش الفتح.

وقد ظهر تأثير فصائل الغلو على هذا الملف المهم من خلال التصرفات التالية:

- رفض تولية القضاء للمحامين أو القضاة المنشقين.
- رفض فكرة الاعتماد على تقنين معين في الحكم؛ حيث رفض مندوبو ""جبهة النصرة" وجند الأقصى وحركة أحرار الشام" اعتماد القانون العربي الموحد، واعتمد على الراجح من الفقه الإسلامي في الحكم والقضاء، مما يعني أن المسألة متروكة لاجتهاد القاضي.
- التوقيع على الأحكام بأسماء وهمية غير حقيقية، تحديداً من القضاة المنتسبين لجند الأقصى و"جبهة النصرة"، حيث لم تستطع الفصائل إلزامهم بالتصريح بأسمائهم الحقيقية في الأحكام.
- إدخال الأجانب من غير السوريين إلى القضاء.
- التخلي عن شرط التأهيل الشرعي واشتراط الشهادة؛ لأن أغلب الشرعيين في "جبهة النصرة" وجند الأقصى لا يحملون شهادات شرعية.

تشير هذه التصرفات وغيرها إلى المدى الذي وصلت إليه سيطرة فصائل الغلو على الملف القضائي، ولعل من أسباب ذلك: تركيز فصائل الغلو على هذا الملف الحساس نظراً لما يعنيه من سيطرة وتحكم بملفات الإدارة (فهو إحدى السلطات الرئيسة في الحكم)، إضافة إلى إسناد هذا الملف "للشرعيين" حتى داخل فصائل الثورة، بما يعنيه في الغالب وجود اجتهادات أقرب إلى فصائل الغلو منها إلى النهج المعتدل.

خلاصة تجربة "جيش الفتح":

أثبت هذه التجربة الخطأ الفادح الذي وقعت فيه فصائل قوى الثورة والمعارضة بتحالفها مع "فصائل الغلو" العسكري، والذي أدى إلى نتائج وخيمة على المستوى السياسي والإداري والخدمي؛ حيث لم تستطع فصائل الثورة من فرض رؤيتها في تلك الملفات، واضطرت لمسايرة "فصائل الغلو" التي فرضت سيطرتها شبه الكاملة والمطلقة على الملفات القضائية والتعليمية والخدمية ...إلخ.

لم تكتف بعض "فصائل الثورة" بأخطائها في التحالف والتشارك مع "فصائل الغلو" على مستوى إدلب، وإنما حاولت تكرار تلك التجربة في مناطق أخرى في حلب والقلمون والغوطة الشرقية ودرعا وريف حمص.

لقد كانت النتيجة: خطأ التحالف والتشارك مع "فصائل الغلو" سيستتبع أخطاء تراكمية في مختلف المستويات، ولن تستطيع "رؤية الاعتدال" التخفيف من "تنطع الغلو".

4- تجربة حركة نور الدين الزنكي "الأولى"[135]:

تأسست (كتائب نور الدين الزنكي) أواخر عام 2011 في بدايات ظهور العمل المسلح، حيث تركز انتشار هذه الكتائب في عدة قرى ومدن غرب حلب "الريف الغربي"، حيث أدارت شؤون عدة بلدات في الريف الشمالي الغربي لمدينة حلب مثل (قبتان الجبل، المن صورة، حوّر، وقرية الشيخ سليمان)، وأعلنت عن تغيير اسمها بعد انسحابها من جيش المجاهدين في أيار 2014 م إلى «حركة نور الدين الزنكي»، تلاه توسعة في أعداد المقاتلين والكتائب التابعة للحركة، كانفصال لواء أبناء الصحابة عن لواء التوحيد وانضمامه للزنكي، حتى وصل عدد مقاتلي الحركة إلى ألفَيْ مُقاتل تقريبا[136].

تعلن حركة الزنكي أن هدفها الأساسي هو إسقاط النظام، وبناء دولة المؤسسات[137]، وتتميز بوجود حاضنة شعبية لها في ريف حلب الغربي، إضافة إلى الحالة التنظيمية ذات المستوى العالي التي وصلت إليها، خصوصاً على المستوى الأمني والعسكري، فضلاً عن ذلك، اهتمامها بالعمل المدني على نحو خاص ومنظّم، فأحدثت عدة مكاتب للاعتناء بأمور المدنيين في المناطق الخاضعة لسيطرتها.

خاضت حركة نور الدين الزنكي مع فصائل جيش المجاهدين[138] قتالاً شرساً مع تنظيم "داعش"، تمكنت من خلاله فصائل الريف الغربي من طرده من المنطقة نهائياً في أوائل عام 2014، لتعلن حركة الزنكي لاحقاً انفصالها عن جيش المجاهدين[139].
كانت حركة نور الدين الزنكي محسوبة على فصائل الجيش الحر، قبل أن تشكل "هيئة تحرير الشام" مع فصيل "جبهة فتح الشام" ""جبهة النصرة" سابقاً"، لتكون جزءاً من أحد فصائل الغلو. ولذلك فإن تجربة الحركة تعد مميزة من جهة أنها كانت جزءاً في فصائل الغلو، ثم انسحب لتدخل معها في معارك وجودية.
لذلك سنستعرض بداية تحولات العلاقة بين حركة نور الدين الزنكي مع "جبهة النصرة"، ثم نستعرض الأسباب التي ساعدتها على الصمود في وجه الجبهة بعد الانفصال.

4-1- تحولات العلاقة بين حركة نور الدين الزنكي وبين "جبهة النصرة":

مرت العلاقة بين الطرفين بعدة مراحل: ابتداء بالتحالف مروراً بالاندماج وانتهاء بالقتال المباشر بينهما.

---

135 كُتب هذا البحث قبل بغي "هيئة تحرير الشام" الأخير على الزنكي، وتمكنها من القضاء على الفصيل بشكل نهائي.
136 بيان تشكيل كتيبة نور الدين الزنكي في عينجارة، 2012/12/14، الرابط: https://bit.ly/2Sl8Jfs.

137 توفيق شهاب الدين: أسباب الاقتتال مع تنظيم الدولة، لقاء اليوم، قناة الجزيرة الفضائية، 2014/3/14، https://bit.ly/2BNoF4I.

138 بيان تأسيس جيش المجاهدين، 2014/1/2، الرابط: https://bit.ly/2tDC5eR.

139 مرت حركة نور الدين الزنكي بعدة تجارب فصائلية اندماجية، بدأت بالانضمام إلى لواء التوحيد، ثم تشكيل جيش المجاهدين والجبهة الشامية، ثم الانضمام إلى هيئة تحرير الشام.

4-1-1- مرحلة التحالف:

انضمت حركة الزنكي إلى تحالف "هيئة تحرير الشام" الذي تقوده "جبهة فتح الشام" في أوائل عام 2017م[140]. ثم ما لبث أن ظهرت علامات الشرخ في جسد التحالف الجديد، مع قرار "الهيئة" بفتح معركة ضد "حركة أحرار الشام"، استمرت ثلاثة أيام، وانتهت في 21 يوليو/تموز 2017، بتقويض قوة "الأحرار" لحساب توسيع وتعزيز سيطرة "هيئة تحرير الشام"، مما دفع بحركة نور الدين الزنكي للانسحاب من الهيئة.

4-1-2- مرحلة الصراع على السياسة:

اندلع الهجوم الأول لهيئة تحرير الشام ضد "حركة نور الدين الزنكي" في 10 / 11 / 2017 قرب بلدة الدانا في ريف إدلب الشمالي، حيث كان عبارة عن مناوشات محدودة، تطورت إلى اشتباكات مُسلحة، طوقت ضمن نطاق جغرافي ضيق.

استمرت المعارك وكانت الذريعة المعلنة هي رد صيال "حركة الزنكي"، بينما كان الهدف الحقيقي هو رغبة "جبهة النصرة" الاستفراد بالتنسيق مع الجيش التركي الذي بدأ بنشر نقاط المراقبة بناء على اتفاقات أستانا.

وكانت النتيجة هي فشل العملية العسكرية لـ "جبهة النصرة" بعد 12 يوم من القتال المستمر، ودخول الجيش التركي بالتنسيق مع حركة نور الدين الزنكي إلى ريف حلب الغربي.

4-1-3- مرحلة الصراع الوجودي:

بدأ ت هيئة تحرير الشام بحملة عنيفة في 14 شباط 2018 واستمرت /67/ يوماً متواصلة على معاقل حركة نور الدين الزنكي في الريف الغربي.

كما هي عادة فصائل الغلو ومنها "جبهة النصرة" في اتخاذ أسباب ظاهرية لتبرير بغيها على الفصائل؛ اتهمت الجبهة حركة الزنكي بقتل "أبي أيمن المصري" على أحد حواجزها، حيث وظفت الجبهة الحدث لاستنفار المهاجرين[141]، وبإدخال "جيش الثوار"[142] لمناطقها من أجل قتالها[143].

أما الأسباب الحقيقية وغير المعلنة لـ "جبهة النصرة" فيمكن تلخيصها: بإنهاء وجود حركة الزنكي في الريف الغربي، وتسيد المشهد السياسي من خلال إنهاء أية قوة مؤثرة على الأرض، والاستيلاء على كل من المعبر الواصل بين دارة عزة ومنطقة

---

[140] "فتح الشام" تندمج مع أربعة فصائل بسوريا، الجزيرة، 2017/1/28، الرابط: https://bit.ly/2Vfv53W.

[141] بأي ذنب قُتل "أبو أيمن المصري"، وكالة إباء، 2018/2/17، https://bit.ly/2ErXkXg.

[142] تشكل جيش الثوار من عدة فصائل وكتائب كانت تتبع سابقاً لفصيلي جبهة ثوار سوريا وحركة حزم وانضمت إليه مؤخراً عناصر لواء أحرار الزاوية وجميعها كانت قد خرجت من الأراضي السورية بعد الهجوم الذي قادته جبهة النصرة عليهم ابتداء من أواخر عام 2014.

ويضم تشكيل جيش الثوار الذي أعلن عنه بتاريخ 3 - 5 - 2015 كلاً من " لواء المهام الخاصة - لواء 99 مشاة - قيادة سرايا النخبة - لواء الحمزة - لواء القعقاع - أحرار الشمال وجميعها من محافظة إدلب" بالإضافة لـ " كتائب شمس الشمال - لواء شهداء الأتارب - لواء السلطان سليم - جبهة الأكراد من محافظة حلب" و " كتائب القادسية والفوج 777 من ريف حمص".

ينظر: جيش الثوار من الولادة إلى التمرد، شبكة شام، 2016/2/14، الرابط: https://bit.ly/2tCplW2.

[143] عمر حاج أحمد، ما دوافع الاقتتال بين "تحرير سوريا" و"تحرير الشام"؟، تقرير إعلامي، أورينت نت، 2018/2/26، الرابط: https://bit.ly/2rR2cOU.

عفرين، وجبل الشيخ بركات الاستراتيجي، إضافة إلى منع التحام قوات غصن الزيتون مع مناطق الريف الغربي لحلب الخاضعة لسيطرة حركة الزنكي.

انتهت الحملة بفشل ذريع لهيئة تحرير الشام رغم استقدامها لـ فصيل "الحزب الإسلامي التركستاني"[144]، وخرجت حركة الزنكي من المعركة فارضة شروطها وكاسبة للمزيد من مناطق السيطرة خصوصاً في مدينة دارة عزة.

والسؤال الذي طرح نفسه آنذاك: ما هي العوامل التي ساعدت حركة الزنكي على الصمود في مواجهة "جبهة النصرة"؟ هذا ما نستعرضه في الفقرة التالية:

4-2- عوامل نجاح حركة نور الدين الزنكي على مواجهة هيئة تحرير الشام "جبهة النصرة":

تعددت العوامل التي ساهمت في نجاح حركة الزنكي "الهجوم الأول" في تعاملها مع "جبهة النصرة"؛ بعضها يعود إلى أسباب ذاتية، وبعضها يتعلق بأساليب التعامل.

4-2-1- العوامل الذاتية التي ساهمت في نجاح حركة الزنكي في التعامل مع هيئة تحرير الشام:

تتمثل تلك العوامل في القيادة المركزية التي تمتعت بها الحركة، والاستعداد النفسي لمواجهة فكر الغلو لدى جنود الحركة.

أ- **القيادة المركزية:** استطاعت قيادة حركة الزنكي ذات الطبيعة الميدانية والملتصقة بجنودها، قيادة الحركة بسيطرة كاملة وتحكم منضبط بكل تفاصيل المعركة، فعلى الرغم من قراراتها السريعة في القتال والصلح، لم تسجل أي حالة انشقاق فردية او جماعية من الفصيل، بل كان ملاحظاً الاستجابة والانصياع على كآفة العناصر والكتائب، وهو ما يعكس الثقة الكبيرة بين القيادة والعناصر، والإدارة الاحترافية عسكرياً وإعلامياً وتوجيهياً وسياسياً[145].

ب- **الاستعداد النفسي لدى جنود حركة الزنكي:** ترسخت حالة من الكره الشديد في نفوس جنود حركة الزنكي لهيئة تحرير الشام، وقد نمت هذه المشاعر مع البغي المتكرر من هيئة تحرير الشام على حركة الزنكي خصوصاً وفصائل الجيش الحر عموماً، وهو ما كان له بالغ الأثر في عملية التحشيد السريع للجنود للنفير والالتحاق بالجبهات لصد بغي تحرير الشام، حيث لم تبذل قيادة الزنكي كثير جهد لإقناع عناصرها ، كما فشلت محاولات تحرير الشام الإعلامية لتطمين جنود حركة الزنكي وإقناعهم بالانشقاق، حيث بقيت المناطقية عامل تماسك قوي أمام الخطاب الإيديولوجي لتحرير الشام.

---

[144] تأسس "الحزب الإسلامي التركستاني" في الصين في العام 1997 على يد حسن معصوم، الذي تمكن من تجنيد آلاف المسلمين الصينيين "الأويغور" للقتال في سبيل استقلال تركستان (إقليم شينغ يانغ) عن الصين، قبل أن يتوجه مقاتلو الحزب إلى أفغانستان ليقاتلوا إلى جانب تنظيم "القاعدة"، ومن ثم حركة "طالبان". وقد قتل معصوم في مايو/أيار العام 2002 جراء غارة أميركية في أفغانستان، ليتولى من بعده عبد الحق التركستاني زعامة المجموعة، ولا يزال على رأسها حتى الآن.

انتقل عناصر الحزب إلى سوريا بشكل فردي ومجموعات صغيرة، وتركز وجودهم في منطقة جسر الشغور وما حولها.

لمزيد من المعلومات، ينظر: عدنان أحمد، تنظيمات "القاعدة" وأخواتها في إدلب: "التركستاني" للانتقام من الصين (4)، العربي الجديد، 2018/10/15، https://bit.ly/2SnD4dl.

[145] كلمة مصورة من القيادي في حركة الزنكي علي سعيدو مع بدء قتال هيئة تحرير الشام، https://bit.ly/2EtkY5M.

كما أن التجربة التي اكتسبها عناصر الزنكي في تعاملهم مع تنظيمات الغلو والتطرف من خلال مسيرة "جبهة النصرة" في تفكيك 20 فصيل سابق، أعطتهم مناعة قوية مع خطاب النصرة المكرر عن الفساد و"التعاون مع الأمريكان".

4-2-2- العوامل المتعلقة بأساليب حركة الزنكي التي ساهمت في نجاحها تعاملها مع هيئة تحرير الشام:

تنوعت الأساليب التي استخدمتها حركة الزنكي في مواجهة "جبهة النصرة" مستفيدة من أخطاء الفصائل السابقة التي استطاعت فيها الأخيرة القضاء عليها. ومن أبرز هذه الأساليب الخطاب الإعلامي المدروس، واستعمال الحرب النفسية، وبناء التحالفات مع الفصائل، وإسقاط ورقة المقاتلين الأجانب من يد الجولاني، إضافة إلى الاستثمار الجيد للجغرافية، والتحشيد الشرعي.

أ- **الخطاب الإعلامي المدروس:** كانت إدارة الخطاب الإعلامي لحركة الزنكي من أفضل الخطابات في الثورة السورية فيما يخص جماعة الغلو والتطرف، فقد راعت حركة الزنكي دائماً الحيثيات التي قد تستغلها قيادة تحرير الشام لتكفير حركة الزنكي، وإقناع عناصرها بشرعية القتال معهم؛ فحتى عندما انشقت حركة الزنكي وخرجت من هيئة تحرير الشام كانت تسرد المبررات بطريقة تدحض ما كانت تتغنى بها تحرير الشام من تحكيم الشريعة وحقن الدماء ووحدة الصف والبغي[146].

كما كانت سياسة حركة الزنكي الإعلامية تقوم على إسقاط قادة تحرير الشام، وإيصال رسائل التودد والشفقة للجنود، وتظهر المشاهد المحرجة لقادتهم وشرعييهم أمام عناصرهم[147]، إضافة إلى حالة السخط الشعبي من تصرفاتهم[148].

ب- **استعمال الحرب النفسية:** برعت حركة الزنكي في استعمال الحرب النفسية عبر عدة تكتيكات وأساليب منها:

- قامت قيادة الزنكي وأثناء انضمامها لتحرير الشام بتسجيل العديد من مكالمات قياداتها أثناء بغيها على حركة أحرار الشام الإسلامية، حيث أظهرت التسجيلات الانحطاط الأخلاقي لقيادة تحرير الشام، من خلال استحلالهم الكذب في اتهام الصقور بقتل عنصرين من عناصرهم، والاستهزاء بمشايخ الهيئة ذاتها والحديث عن اعتقال عبد الله المحيسني[149]، والكلام بخفة عن "الاستشهاديين"، مما هز الصورة الرمزية والهالة القدسية لصورة قيادات تحرير الشام، وتزعزع الثقة بين الشرعيين والقيادة من جهة، وبين الجنود وقياداتهم من جهة أخرى[150].

---

146 بيان انشقاق حركة نور الدين الزنكي عن تحرير الشام، 2017/7/20، الرابط: https://bit.ly/2BQxESJ.

147 قياديو النصرة يصرفون مكافآت لعناصرهم كي يصمدوا في وجه الزنكي واحرار الشام بإدلب وريفها، الرابط: https://bit.ly/2GF9Fdj.

148 غضب الشارع السوري في المناطق المحررة إزاء ممارسات هيئة تحرير الشام بريف حلب الغربي، مداد برس، 2018/2/24، الرابط: https://bit.ly/2IzUfJ3.

149 حيث شكل ذلك صدمة لدى الفئات المؤيدة لهيئة تحرير الشام لما كان يمثله المحيسني من مكانة لديها، خصوصاً وأنه كان القاضي العام لدى جيش الفتح. وقد ساهم ذلك في انشقاق المحيسني ومصلح العلياني عن هيئة تحرير الشام.

150 جميع التسريبات موجودة على قناة التلغرام لخالد الشمالي، الرابط: https://t.me/Dkhaled_1.

- نشر فيديوهات لعشرات العناصر الأسرى من جنود تحرير الشام وهم يناشدون قياداتهم لتبديلهم وفك أسرهم مما شكل عامل ضغط كبير على تحرير الشام[151].

- استعراض القوة، وتسيير الأرتال المدججة بالجنود والسلاح، مما لعب دوراً في رفع معنويات جنود حركة الزنكي، وضرب الحالة المعنوية لجنود تحرير الشام الذين كانوا يتصورون المعركة مع الزنكي نزهة كغيرها من الفصائل[152].

- استعراض قتلى وجثث عناصر هيئة تحرير الشام الذين قتلوا في معارك البغي ضد الزنكي، مع خطاب عاطفي يحمل قادتهم المسؤولية، ويأسف على مقتل العناصر "المسكينة"[153].

- التحشيد الشعبي وإظهار الروح المعنوية لدى الفعالية المدنية في المنطقة التي تديرها الحركة، حتى خرجت النساء بمقاطع مصورة برسائل إلى جنود هيئة تحرير الشام[154].

- التصدي للحرب النفسية التي كان يمارسها إعلام "جبهة النصرة" وذلك من خلال التفنيد وإثبات كذب الأخبار التي تشاع عبر الإعلام الرديف، من خلال قناة خاصة لنفي الأخبار الكاذبة.

ج- **توسيع النفوذ المناطقي وبناء التحالفات مع الفصائل:** نجحت حركة نور الدين الزنكي بضم كل من كتائب ثوار الشام في الريف الغربي ومقرها الأتارب بقيادة النقيب علي شاكردي، وضم حركة بيارق الشام بقيادة النقيب خالد العمر إلى صفوفها، مما زاد في قوتها، ووسع نفوذها ضمن الريف الغربي، ولم يبق إلا بعض الجيوب لتحرير الشام والمقرات لفيلق الشام[155].

كما أقدمت حركة نور الدين الزنكي على تشكيل جبهة تحرير سوريا مع حركة أحرار الشام[156]، وتحالف غير معلن مع فصيل "صقور الشام"؛ وهذا يعني أنها باتت قادرة على ضرب هيئة تحرير الشام في معظم الجغرافيا المحررة، وعدم حصر المعارك في ريف حلب الغربي

151أسرى هيئة تحرير الشام يناشدون أمرائهم وشرعييهم الاسراع في العمل على مبادلتهم، الرابط: https://bit.ly/2XkGvoO.

152 مقطع يصور استعرض أرتال حركة الزنكي، الرابط: https://bit.ly/2XnM4Td.

153 تسليم قتلى هيئة تحرير الشام الذين سقطوا أثناء اقتحامهم لبلدة تقاد، الرابط: https://bit.ly/2XoChg3.

154 رد وجهاء بلدة قبتان الجبل وعنجارة على أبو العبد أشداء وأبو اليقظان من أبرز قادة هيئة تحرير الشام، الرابط: https://bit.ly/2GGa1QN.

155 بيان انضمام كتائب ثوار الشام وبيارق الشام إلى حركة الزنكي، الرابط: https://bit.ly/2tBsPIw.

156 بيان اندماج الأحرار والزنكي في جبهة تحرير سوريا، الرابط: https://bit.ly/2SkBpFn.

د- **إسقاط ورقة المقاتلين الأجانب من يد الجولاني:** كانت قيادة تحرير الشام تلعب دائما على ورقة المهاجرين في كل بغي وحملة تقوم بها على فصيل من الفصائل، ولكن استطاعت حركة الزنكي اسقاط ورقة المهاجرين من يد الجولاني من خلال ضم بعضهم لصفوفها، مثل الشيخ علي العرجاني (الشرعي الكويتي)، وانشقاق المحيسني بعد عملية التسريبات المسيئة للشرعيين ووصفهم (بالمرقعين)، حيث تمكنت حركة الزنكي إلى حد كبير من تحييد المقاتلين الأجانب "من الخليج تحديداً".

كما وظفت حركة الزنكي حادثة تصفية أحد المصريين المنتسبين لأحرار الشام (أبي تراب) على يد هيئة تحرير الشام، من أجل إثبات كذبها ونفاقها في ادعاء حرصها على المهاجرين.

هـ- **الاستثمار الجيد للجغرافيا:** امتازت حركة نور الدين الزنكي بموقع جغرافي حصين ومهم ومتصل، استطاعت استثماره من خلال إغلاق الطرقات ونشر الحواجز، والسيطرة على التلال الاستراتيجية وحماية ظهرها بمناطق غصن الزيتون.

كما تمكنت من تحقيق توازن الرعب والرد المباشر على أي اعتداء قبل الدعوة للمحكمة الشرعية والدعوة لتشكيل اللجان، من خلال محاصرة جيب هيئة تحرير الشام في مناطق عندان كفر حمرة حريتان المحاط بمناطق حركة الزنكي، والذي شكل نقطة ضعف لدى الهيئة.

و- **التحشيد الشرعي:** عملت حركة الزنكي على استصدار بيان من المجلس الإسلامي السوري حول وجوب رد بغي تحرير الشام[157]، كما كان هناك ردود شرعية من علي العرجاني (شيخ كويتي الجنسية)، ودعوى للمباهلة من قائد حركة نور الدين الزنكي للشيخ أبي الحارث المصري (شرعي في هيئة تحرير الشام) الذي عرض بكفر حركة نور الدين الزنكي[158].

ز- **التجاوب مع كل مبادرة للتفاوض والصلح مع استمرار القتال المباشر:** تجاوبت حركة الزنكي مع كل مبادرات الصلح، بما فيها تلك الصادرة عن المشايخ أو الوجهاء[159].

كما سمحت للوجهاء بلقاء سجناء من جيش الثوار، بقصد سحب الذريعة التي تمسكت بها هيئة تحرير الشام للبغي على حركة الزنكي بحجة أن الأخير يجمع جيش الثوار من أجل قتال الهيئة[160]، واستطاعت بذلك إثبات كذب ادعاءاتها.

157 المجلس الإسلامي السوري يصدر بيانًا بشأن بغي هيئة تحرير الشام على حركة نور الزنكي، الرابط: https://bit.ly/2E9XZLI.

158 هيئة تحرير الشام بين نقض الهدن والتهرب من المباهلة والمناظرة، وكالة إباء الإخبارية، الرابط: https://bit.ly/2E9XZLI.

159 مبادرة مجلس العشائر ولقاؤها مع قيادة حركة نور الدين الزنكي، مداد برس، 2017/11/16، https://bit.ly/2EeoTlA.

160 زيارة المشايخ لسجناء جيش الثوار عند الطرفين، الرابط: https://bit.ly/2BTkgNI.

وكانت حركة الزنكي تصر في مفاوضاتها على أن يكون الحل ليس بينها وبين تحرير الشام، وإنما لا بد أن يكون الحال شاملاً لكل مناطق حلب وحماة والساحل وإدلب، وعدم هيمنة تحرير الشام على القرار السياسي وقرار السلم والحرب، إضافة لرفض تحكمها بالمعابر والمقدرات الاقتصادية للمناطق المحررة، وتحرير كافة المعتقلين من كافة الفصائل، وتسليم السلطة لهيئات منتخبة من الشعب السوري[161].

3-4- النقاط السلبية في تجربة حركة نور الدين زنكي مع هيئة تحرير الشام:

أ- شكل عامل المناطقية دوراً إيجابياً في الدفاع، فمن طبيعة العنصر المتمسك بأرضه، الموجود بين أهله وعشيرته الصمود في صد أي اعتداء وهجوم من أي قوة كانت. لكن بالمقابل كان عاملاً من عوامل ضعفه أثناء الهجوم والقتال خارج منطقته، مما أضعف حركة الزنكي في المحافظة على المناطق التي سيطرت عليها من هيئة تحرير الشام، على عكس عناصر الأخيرة، حيث أن جنودها غير مرتبطين بمناطق معينة في الغالب.

ب- على الرغم من تحرك حركة أحرار الشام، وفصيل صقور الشام مع حركة نور الدين الزنكي ضد تحرير الشام، بقي مشروع جبهة تحرير سوريا مشروعاً هشاً ولم يتطور للاندماج الكامل، مما جعل فاعليته أقل من المتوقع في رد بغي تحرير الشام؛ حيث أن عدة تشكيلات من حركة أحرار الشام لم تشترك في رد بغي تحرير الشام، وفضلت تحييد مناطقها.

ج- إن الانضباط الذي كان ملاحظ على عناصر نور الدين زنكي داخل مناطقه، لم يكن بنفس المستوى عندما تمدد إلى المناطق التي استردها من تحرير الشام، فقد حصلت بعض التجاوزات من عناصرها مما جعل الحاضنة تتوجس منهم.

د- إن اشتراك قوات من حركة نور الدين الزنكي في الاعتداء على فصيل تجمع فاستقم وجيش الإسلام، أثناء حصار حلب الأمر أفقدها بعض التعاطف من الناشطين الثوريين[162]، كما أن دخول حركة نور الدين الزنكي في مشروع سابق مع تحرير الشام أفقد الكثر من الفصائل ثقته بها خصوصاً من فصائل درع الفرات.

---

161 شروط حركة نور الدين الزنكي لوقف إطلاق النار، الرابط: https://bit.ly/2SpigC2.

162 هاجمت حركة الزنكي أثناء اقتحام قوات الأسد وحلفاءه أحياء مدينة حلب المحاصرة، مقرات "تجمع فاستقم كما أمرت" ونهبت عتادها وأسلحتها، واتهمت الحركة آنذاك بأنها ساهمت مع "جبهة النصرة" في سقوط حلب.

ينظر: عقيل حسن، "حركة نور الدين الزنكي" غلطة الشاطر الكبرى، المدن، 2016/11/6، الرابط: https://bit.ly/2GJajGq.

خلاصة الدراسة ونتائجها:

نعتقد أن الطابع العام لتجارب فصائل الثورة السورية مع فكر الغلو وفصائله كان سلبياً، باستثناء بعض النجاحات المحدودة زمنياً ومكانياً، ولعل السبب الرئيس في ذلك، هو ضعف الوعي لدى غالبية قادة هذه الفصائل بخطر هذا الفكر ومآلاته الكارثية مبكراً، الأمر الذي أدى إلى تراكم الأخطاء وتعاظمها، مما جعل إمكانية معالجتها ذاتياً من قبل هذه الفصائل، وبعد الوعي بها لاحقاً، مهمة شبه مستحيلة خصوصاً مع ضعف الظاهرة الفصائلية وتآكلها.

مع ذلك، بقيت لكل تجربة فصائلية مع فكر الغلو وفصائله خصوصيتها وواقعها، حيث يمكن تلخيص نتائج التجارب التي ركزت عليها الدراسة بما يلي:

1- في تجربة جبهة ثوار سوريا:

إن ضعف الحاضنة الشعبية وضحالة التوجيه الفكري، وغياب المشروع المقاوم، والترهل التنظيمي، والإعلام المنفعل، و"الحلفاء الباردين" لم يكن ليصمد أبدا في وجه التصلب المنهجي والضخ الإعلامي والفعل المبادر والإحكام التنظيمي والمشروع الواضح، الذي عملت عليه "جبهة النصرة" في حربها مع جبهة ثوار سوريا.

وبالتالي، فقد يمكن تلخيص التجربة بأنها مواجهة بين تنظيم محكم تنظيمياً ومتصلب إيديولوجياً وملمع إعلامياً، واضح الهدف والمشروع، وهو "مشروع جبهة النصرة"، مع فصيل مترهل داخلياً، ومشوه إعلامياً، والمشروع لديه مرتبك وحلفاؤه له كارهين "جبهة ثوار سوريا".

2- في تجربة جيش الإسلام:

ساهمت عدة عوامل في نجاح تجربة جيش الإسلام نسبياً مقارنة بتجارب فصائلية أخرى، أهمها: حمله عقيدة قتالية واضحة ضد تنظيمات الغلو والتطرف، والبعد المناطقي والعصبية الاجتماعية في مدينة دوما، إضافة إلى التماسك التنظيمي. هذا النجاح النسبي كان مقتصراً على الغوطة الشرقية؛ مركز جيش الإسلام. ولم يمتد خارجها سواء باتجاه الشمال، مركز "جبهة النصرة" أو باتجاه الشرق مركز "داعش"، نظراً للحصار الشديد الذي عانى منه طيلة خمس سنوات متواصلة.

3- **في تجربة جيش الفتح:**

- أثبتت تجربة الفصائل مع جيش الفتح عدم جدوى **مقاربة الاحتواء والتفكيك لتنظيمات الغلو والتطرف** المتصلبة أيديولوجياً، خصوصاً مع فصائل تعاني من الهشاشة الفكرية والتنظيمية. فقد استطاعت "جبهة النصرة" ومن خلال دخولها إلى البيت الداخلي للفصائل المنضوية في جيش الفتح، تفكيكها من داخلها، خصوصاً أن قيادة "جبهة النصرة" كانت تتعامل مع حركة أحرار الشام من خلال التواصل مع قيادات الصفوف الدنيا، بينما كانت الأولى تتعامل مع

الثانية من خلال رأس الهرم، وهو الامر الذي سيظهر أثره لاحقاً في انشقاق جيش الأحرار والتحاقه بهيئة تحرير الشام[163].

- لقد كان شغف الفصائل بتحقيق انتصارات عسكرية، بدون دراسة الجدوى السياسية لهذا الانتصار، مدخلاً للانتحار السياسي، فالانتصارات العسكرية لجيش الفتح كانت في حقيقتها هزائم سياسية للثورة، التي لم تستطع حتى رفع علمها في مدينة إدلب، وكانت في الوقت ذاته، انتصاراً سياسياً للنظام الذي أقنع العالم أن من استولى على إدلب هم "مجموعات إرهابية متطرفة" من الأجانب. لتنتهي انتصارات جيش الفتح في إدلب إلى هزيمة عسكرية قوية في حلب.

- لقد كانت تجربة إدارة جيش الفتح عبارة عن تجربة مكررة مستنسخة عن تجارب التحالف مع تنظيمات الغلو في دير الزور، والرقة، وتجربة الرباعية في حلب، والتي انتهت جميعها إلى الفشل الذريع، وإلى المزيد من تغول تنظيمات الغلو على المشهد السياسي والعسكري والمدني للثورة السورية.

- عززت تجربة جيش الفتح فكرة التغلب عند قيادة "فتح الشام هيئة تحرير الشام لاحقاً" بدلاً من تعزيز فكرة الاعتدال وحل التنظيم لصالح الثورة، خصوصاً بعد فشلها في استمالة الفصائل إلى مشروع اندماج تحمي نفسها من خلاله من خطر التصنيف، كما أن التواصل العشوائي بين مكونات أحرار الشام وقيادة فتح الشام سهلّ المهمة على جبهة فتح الشام في شق صف حركة أحرار الشام المستقطبة داخلياً (وخروج ما يسمى بجيش الأحرار من الحركة)، بعد البغي عليها من تنظيم فتح الشام والاستيلاء على معبر باب الهوى الذي كانت تديره.

4- في تجربة حركة نور الدين الزنكي:

- نجحت تجربة حركة نور الدين الزنكي "الأولى" في حماية الفصيل ووجوده، من خلال استثمار كل الأوراق العسكرية والإعلامية، والخطاب الديني، والخطاب السياسي، والضغط الاجتماعي، واستطاعت المحافظة على وجودها وتحقق النكاية العسكرية في هيئة تحرير الشام، مما جعل الأخيرة ترضخ للصلح ووقف إطلاق النار. لكن هذا الناجح بقي في حدود الحفاظ على المنطقة التي تتعصب للفصيل المسيطر، ولم تتطور التجربة إلى استراتيجية مبادرة تقوم على استئصال تنظيمات الغلو والتطرف نهائياً.

- خلاصة تجربة حركة نور الدين الزنكي أنها كانت مواجهة بين قوة متعصبة اجتماعية مع قوة متأكلة أيديولوجياً، وبذلك استطاعت العصبية المتماسكة صد "الأيديولوجيا المستهلكة".

[163] عقيل حسن، "جيش الأحرار": فصيل داخل فصيل، المدن، 2016/12/12، الرابط: https://bit.ly/2U5A8n9.

رابعاً: سرد مجريات الندوة موضوعياً (تقرير):

ملخص تنفيذي للتقرير الموضوعي:

أقام مركز الحوار السوري، بالشراكة مع مؤسسة قرطبة بجنيف[164]، ندوة حوارية بعنوان: " نحو مقاربة نموذجية لمواجهة خطاب الغلو والتطرف في السياق السوري من خلال التجارب والدروس المستفادة". حيث يلخص هذا التقرير أبرز النقاط التي وردت في الأوراق المقدمة والمناقشات التي دارت حولها.

فقد ناقش المحور الأول أهمية وجود مرجعية شرعية موحدة تتصدى لفكر الغلو وشبهاته، حيث عرضت الورقة الأولى دور المرجعية الشرعية التي تصدت لهذا الفكر في الحالة السورية، وقدمت بعض التوصيات لتعميق دورها، وزيادة تأثيرها. ثم تطرقت النقاشات إلى تحديد التحديات والصعوبات التي واجهتها المرجعية الدينية خلال تصديها لفكر الغلو، حيث أكدت على ضرورة التصدي للعوامل التي شجعت في انتشار هذا الفكر، كما حللت الجوانب التي أضعفت خطاب المرجعية الدينية واقترحت العديد من الحلول لزيادة أثر الخطاب المعتدل.

وجاء المحور الثاني لاستعراض مجموعة من المعايير التي يتم من خلالها التمييز بين الفصائل المعتدلة والفصائل المتطرفة، حيث افتتح بورقة بحثية أوضحت أهم هذه المعايير اعتماداً على رصد مظاهر الغلو الديني بشقيه الفكري والسلوكي والسياسي. وقد أكدت المناقشات أهمية وجود معايير قياس التطرف وضرورة تثقيلها، واعتبار التطرف الفكري أشدها درجة، وتحديد المرجعية التي يجب أن تستند عليها تلك المعايير، وضرورة الاهتمام بضوابط المعايير وتطويرها.

استعرض المحور الثالث مجموعة من التجارب التي تعاملت فيها الفصائل المعتدلة مع فصائل الغلو سواء بالتنسيق المشترك أو بالمواجهة العسكرية، وما بينهما، حيث قيمت الورقة البحثية التجارب المستعرضة وقدمت أفكاراً حول الدروس المستفادة منها. وأكمل الحضور نقاش المحور من خلال استعراض عدة تجارب إضافية في مواجهة الغلو لم تتعرض لها الورقة الأصلية ابتداءً، حيث وُجه النقد للعديد من الأخطاء التي كانت سبباً في ضعف الفصائل المعتدلة، وأُشير إلى التجارب الناجحة في هذا السياق، مع تحديد العوامل التي ساهمت في ذلك.

وقد خرجت الندوة بالعديد من التوصيات المرجو أن تساهم في صياغة تصور فعال لمواجهة منظومة الغلو، منها: تلافي الأخطاء السابقة التي ارتكبت خلال مواجهة هذا الفكر وأهله، وزيادة فعالية المرجعية الشرعية المعتدلة وخطابها وزيادة أثرها وتعميقه، مع التأكيد على ضرورة توثيق تجارب التنسيق أو المواجهة مع فصائل الغلو ودراستها وتحليلها، وإيجاد آلية للقياس، تنبه مبكراً إلى وجود حالة تطرف أو غلو سواء على النطاق الفكري أو السلوكي أو حتى السياسي.

[164] مؤسسة قرطبة بجنيف هي منظمة غير حكومية سويسرية مستقلة غير نفعية تعمل في مجال الوقاية من العنف، ترشيد الخلاف وتعزيز السلم، موقع المؤسسة https://www.cordoue.ch/ar/.

مقدمة:

يعتبر فكر الغلو فكراً غريباً عن المجتمع السوري المعروف بتدينه وبوسطيته، إلا أن هذا الفكر وجد في البيئة السورية خلال بعض سني الثورة المناخ الملائم للنمو والانتشار مستغلاً الوضع الفكري والنفسي والاجتماعي الذي ترتب جراء اعتماد نظام الأسد الحل العسكري وسياسة القصف والتدمير والتشريد والاعتقال والتهجير.

ومع انتشار فكر الغلو في أوساط المجتمع السوري، وتأثيره على الكثير من الشباب، وارتكابه الكثير من السلوكيات المتطرفة، ظهرت الحاجة للتصدي لهذا الفكر وأهله والحد من تأثيره ومن مناطق نفوذه، حيث نجحت التجربة السورية في التصدي من بعض الجوانب، وفشلت في أخرى.

امتلكت الحالة السورية بعداً مركزياً على المستوى الإقليمي والعالمي، تجلى في صعود تيار الغلو والتطرف ونموه بحكم الأحداث المتسارعة التي عصفت بالبلاد بعد قيام الثورة السورية التي أصر النظام السوري على مواجهتها باعتبارها "تنظيمات إسلامية متطرفة" منذ اليوم الأول.

على الرغم من كون فكر الغلو فكراً دخيلاً على المجتمع السوري، إلا أنه استطاع التأثير على شريحة واسعة نتيجة استغلاله الكثير من العوامل السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية، حيث استفاد من حالة الفرقة والتشتت بين الفصائل السورية وغياب المشروع والرؤية الجامعة، فابتلع المناطق المحررة، وحوّل الصراع من بعده الشعبي المحلي، بين نظام مستبد وشعب يسعى لنيل حقوقه، إلى ساحة تتصارع فيها المشاريع العابرة للحدود.

بعد ظهور التيارات المتطرفة بقوة في الفترة بين 2013-2015، بدأت الجهود البحثية والفكرية بدراسة هذه الظاهرة في سياق الحالة السورية تحليلاً وتقييماً، وخصوصاً بعد الآثار السلبية التي خلفتها تلك التنظيمات والتيارات على مسار الثورة ومآلاتها، في محاولة لفهم مواضع الخلل والتخفيف من تداعيات انتشار هذا الفكر وخاصة في المعقل الأخير لقوى الثورة والمعارضة، تحديداً في محافظة ادلب وما حولها.

بقصد استعراض تجارب بعض أهم هيئات المعارضة السورية وفصائلها في خطاباتها الفكرية والشرعية والسياسية ضد فكر الغلو والتطرف، وفهم "دورة حياة" ظاهرة الغلو ونموها والعوامل التي تسهم في تشكيل البيئات الحاضنة لها، واستعراض دور الخطاب الشرعي وأثر تشكيل المرجعية الشرعية الموحدة، على الغلو، تمهيداً لرسم ملامح مقاربة نموذجية فكرية- عملية للتعامل مع الفكر المتطرف، أقام مركز الحوار السوري بالشراكة مع مؤسسة قرطبة بجنيف ندوة حوارية بعنوان: "نحو مقاربة نموذجية لمواجهة خطاب الغلو والتطرف في السياق السوري من خلال التجارب والدروس المستفادة"، وذلك في استنبول يوم السبت 22 ربيع الآخرة 1440هـ، الموافق 12/29/ 2018م.

تضمنت الندوة ثلاث جلسات، حيث بدأت كل جلسة بعرض ورقة معدة مسبقاً من أحد الباحثين، تلاه فتح باب المداخلات للمشاركين، ثم تعقيب نهائي من صاحب الورقة.

يأتي هذا التقرير ليضع القارئ الكريم في أجواء الندوة والنقاشات التي دارت فيها، وإيضاح السياق العام الذي أقيمت فيه الفعالية من خلال توضيح الأسباب التي دفعت إليها، وبيان أهميتها، والهدف منها.

أُعد هذا التقرير الموضوعي من خلال اتباع قاعدة "تشاتام هاوس"[165]، ومن دون التقيد بالترتيب الزمني للعرض والمداخلات، حيث استخدم التقسيم الموضوعي بقصد ترتيب الأفكار بطريقة سلسة وموضوعية تساعد القارئ -قدر المستطاع- على فهم المضمون.

يتضمن التقرير ثلاثة أقسام، نتحدث في الأول عن أدوار المرجعيات الشرعية وأثر تشكيل مرجعية شرعية موحدة في منع انتشار الغلو، ونخصص القسم الثاني لمناقشة المعايير المقترحة لتمييز جماعات الغلو عن الجماعات المعتدلة من فصائل الثورة السورية، فيما نختم بالقسم الثالث لتقديم قراءة في تجارب بعض فصائل المعارضة في التعامل مع الغلو.

165 يقصد بقاعدة "تشاتام هاوس" بأنه: «حينما يعقد اجتماع أو جزء منه في إطار قاعدة تشاتام هاوس، فإن المشاركين يكونوا احراراً في استخدام المعلومات التي يحصلون عليها، لكن من دون كشف هوية المتحدث أو انتماءه أو أي شخص آخر، ودفعاً للقارئ للتركيز على سياق الحوار ومضمونه بغض النظر عن أشخاصه.

للتوسع حول هذه القاعدة، ينظر: قاعدة تشاتام هاوس، ويكيبيديا.

1- أدوار المرجعيات الشرعية و أثر تشكيل مرجعية شرعية موحدة في منع انتشار الغلو:

ناقش القسم الأول من الندوة دور المرجعية الشرعية في مكافحة الغلو، حيث بدأ باستعراض ورقة بحثية، أوضحت سياسة أصحاب هذا الفكر في التعامل مع العلماء ممن هم خارج إطارهم الفكري، وسعيهم الحثيث لتدمير المرجعية الشرعية المعتدلة الذي تتصدى لطروحاتهم.

كما أكدت الورقة أهمية دور العلماء المعتدلين في التصدي لتيار الغلو، وخاصة في مواجهة البنى والأسس الفكرية التي يقوم عليها وإثبات خطئها، حيث استعرضت جهود بعض العلماء في التصدي لأفكار الغلو وتفكيكها، نتيجة التنبه المبكر لخطورة هذا الفكر على الأمة المسلمة.

وانتقلت الورقة إلى التركيز على أهمية دور المؤسسات العلمائية وجهودها في التصدي لطروحات هذا التيار، مستعرضة تجارب بعض المؤسسات العلمائية في هذا المجال، حيث ركزت بشكل مفصل على دور المؤسسات العلمائية السورية وفتاويها، كالمجلس الإسلامي السوري ومكوناته[166]، كما سلطت الضوء بالمقابل على دور المؤسسات العلمائية المؤيدة لنظام الأسد في تنفير الشباب من المنظومة الدينية وتعزيز حجة الغلاة في بعض المسائل.

وانتهت الورقة إلى طرح مجموعة من التصورات لتمكين المرجعية الشرعية في مواجهة ومكافحة ما يطرحه الغلاة من أفكار، وذلك من خلال محافظة تلك المرجعيات على استقلاليتها في القرار، وشمولها لمختلف التيارات الفكرية والدينية المعتدلة، ومسارعتها في الرد على الشبهات، والحضور المستمر والمكثف في الميادين الاجتماعية.

وبعد استعراض ما ورد في الورقة فتح باب المداخلات للحضور، حيث ركزت على مجموعة من الجوانب منها:

1-1- العوامل المساعدة لانتشار مرجعية الغلو في الساحة السورية:

أجمع معظم الحضور على أن هناك أسباباً كثيرة إلى جانب العوامل الفكرية، جعلت من البيئة السورية مناخاً ملائماً لنمو فكر الغلو وانتشاره، فقد استغلت مرجعيات الغلو الكثير من العوامل النفسية والاجتماعية للتأثير على المجتمع السوري المعروف بوسطيته الإسلامية، مما دفع جزءاً منه لتقبل هذا الفكر الدخيل، حيث يمكن تفصيل هذه الاسباب في:

1- <u>أثر العوامل الفكرية في التمكين لخطاب الغلو و انتشاره:</u>

توافقت بعض المداخلات على أن انتشار فكرة إسقاط المذاهب الفقهية بدعوى الأخذ من الكتاب والسنة ورواجها على أرض الواقع، والترويج لها من قبل بعض الجماعات والتيارات، ساعدت على قبول فكر الغلو عند العامة وخاصة ممن ينقصهم العلم والوعي.

وفي السياق ذاته، عدَّ أحد الاكاديميين المختصين بالفقه وأصوله توقف غالبية العلماء عن البحث والتأصيل بخصوص القضايا الكبرى والمصيرية، أحد الأسباب الرئيسة في إضعاف تأثير علماء التيار الإسلامي الوسطي، فعلى سبيل المثال، عدم

[166] المجلس الإسلامي السوري: هو هيئة مرجعية شرعية وسطية سورية، تسعى إلى جمع كلمة العلماء والروابط الشرعية، وإيجاد الحلول الشرعية لمشكلات السوريين وقضاياهم، تأسس في آذار عام 2014، وضم 128 عالم دين وداعية إسلامياً من الداعمين للثورة السورية.

تصدي العلماء وتأصيلهم وتوجيههم لقضايا جوهرية مثل "حكم تفرق الأمة الإسلامية في دول متعددة" أو "أنظمة الحكم المعاصرة من وجهة نظر شرعية" أو "آلية اختيار الحاكم"، أوجد ثغرة في الفكر الإسلامي الوسطي، أتاحت المجال للغلاة لتقديم رؤيتهم الخاصة لهذه القضايا الإشكالية والمعاصرة للشباب، مستغلين عدم وجود أي طرح بديل.

وبيّن باحث في شؤون الجماعات الإسلامية كيفية استغلال الغلاة ضعف حضور الفقه السياسي الإسلامي، وندرة الباحثين والمختصين في هذا المجال، في الترويج لأحكامهم التي استندت على الغلو في توصيف الواقع[167].

من جهة أخرى، اعتبر أحد الأكاديميين المتخصصين في أصول الفقه أن البعض سعى إلى محاربة فكر الغلو عبر غلو فكري من نوع آخر؛ كمن اعتمد على الغلو "الفكري التنويري"، أو من نادى بـ "أسلمة الديمقراطية، أو سعى للتماهي الكبير مع غير المسلمين، كأدوات لمواجهة الغلو، إلا أنه خدم بهذه المقاربات السياق الفكري المتطرف أكثر مما حاربه.

كما اعتبر أحد الباحثين أن المصادمات والسجالات الفكرية التي حدثت في الساحة السورية، والتي حاولت زعزعة الأساس الفكري للغلو، لم تثمر عن تأثير واضح على الشباب ممن التحقوا بهذا التيار، متسائلاً حول سبب ضعف ذلك التأثير، وهل كان بسبب أن العامل الفكري لم يكن المحرك الرئيسي الذي دفع هؤلاء الشباب لحضن الغلو أم لوروده في سياق خاطئ[168].

وقد وجهت العديد من المداخلات إلى ضرورة أن تستنفر المرجعية الشرعية المعتدلة جهودها لبناء أساس فكري متين يواجه الطروحات الشاذة التي يتبناها فكر الغلو، والبحث في القضايا الإشكالية المعاصرة وخاصة ذات الطابع السياسي، وتقديم إجابات دقيقة تستند على تأصيل شرعي بشكل يسد الثغرات الفكرية التي يحاول دعاة الغلو استغلالها.

2- أثر العوامل النفسية والاجتماعية في التمكين لفكر الغلو و انتشاره:

اعتبرت العديد من المداخلات أن العوامل النفسية والاجتماعية التي سادت منذ بداية الثورة ساهمت مع العوامل الفكرية، في دفع الشباب نحو فكر الغلو.

فقد رأت إحدى الباحثات أن العديد من الشباب السوري ممن غلب عليه الإحساس بالظلم والقهر والخوف، افتتن ببعض شخصيات الغلو صاحبة الخطاب الحماسي، والتي رُوج لها إعلامياً. لدرجة تصديقه –نتيجة معاناة بعضهم من مشاكل نفسية- أن هؤلاء المهاجرين تركوا حياتهم السابقة، وقدموا لنصرة قضيته العادلة، ولم يكن لديهم القدر الكافي من الوعي

---

[167] ضرب الباحث مثلاً على ذلك، باستدلال أبو محمد الجولاني زعيم هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقاً) على صحة منهجه بالتغلب، بما فعله صلاح الدين من جمع كلمة المسلمين تحت راية واحدة قبيل قتال الصليبيين، مع أن هذه المسألة من مسائل الاجتهاد في الفقه السياسي، والتي تحتاج إلى الكثير من المراجعة والدراسة والضبط ولا يمكن الأخذ بها بتلك البساطة.

كما ضرب الباحث مثالاً آخر حول غلو هذه الجماعات في توصيف الواقع بحالة إعلان "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، والتي رد فيها دعاة الغلو على العلماء الذين اعتبروا هذا الإعلان باطلاً، بأن المساحة التي امتد عليها تنظيم الدولة في العراق والشام أكبر من مساحة الدولة الإسلامية في عهد الرسول وتضم حالياً عدداً من السكان أكبر ممن كان في عهد النبي، وبالتالي اتهموا من يقول ببطلان دولتهم بأنه يقول ببطلان دولة الإسلام في عهد النبي.

[168] أشار الباحث إلى محاولات د. حذيفة عزام الرد على منظري الغلو وإضعاف حججهم، إلا أن تلك المحاولات لم تغير قناعات أنصار الغلو رغم تاريخه الحافل ومكانته العلمية ومعاصرته للوضع السوري.

والمعرفة لإدراك أنهم جاؤوا لتحقيق مشروعهم الخاص، وبالتالي تأثروا بكلامهم بشكل عميق، وأعجبوا بشدة أحكامهم وقساوتها، وخطابهم الرنان، أكثر مما تأثروا بخطاب الاعتدال ورجالاته.

لقد استغل فكر الغلو -بحسب أحد أعضاء المجلس الإسلامي السوري- حالة الهشاشة الشديدة في المجتمع والاضطراب النفسي لدى الشباب تحديداً، والناتج عن التعرض لظلم وقهر كبيرين، فصدّر خطاباً حماسياً ركز على الجانب العاطفي، وعمل على غرس أفكاره مستفيداً من غياب الوعي وضعف الجانب الشرعي عند معظمهم.

ورأى باحث آخر أن قبول بعض الفئات لفكر الغلو كان نتيجة ردة فعل نفسية على تجاوزات وسلبيات فصائل المعارضة، دفعت بالشباب الى الضفة الثانية، ولم يكن ذلك نتيجة قناعة عقلية أو فكرية بصوابية هذا النمط الفكري.

بدروها اعتبرت أكاديمية مختصة بالعلوم الشرعية، أن فصائل المعارضة ارتكبت خطأً كبيراً، عندما شابهت الغلاة في شكل اللباس وبعض الخطاب، وهو ما جعل الأمر يختلط على عامة الناس، فأصبحوا غير قادرين على التمييز بين أصحاب الفكر الوسطي وأصحاب فكر الغلو، خصوصاً مع غياب الجهود لتحصين المجتمع من هذا الفكر.

ورأى أحد القياديين في فصائل المعارضة أن غياب الانتماء والهوية السورية الجامعة خلال الثورة كان أمراً قاصماً، حيث كانت المصلحة الشخصية الدافع وراء انتقال بعض السياسيين والعسكريين من طرف إلى آخر، فعلى سبيل المثال هناك عدد كبير من عناصر هيئة تحرير الشام "جبهة النصرة[169]" لم يتبنوا فكر الغلو، ولم يؤمنوا به، لكنهم انضموا إلى صفوف هيئة تحرير الشام رغبة منهم في تحصيل شكل من أشكال السلطة الوهمية في المناطق المحررة؛ أي أن الدافع كان المصلحة الشخصية، ولم يكن دافعاً فكرياً أو سعياً لمصلحة عامة.

3- <u>شكل خطاب الغلو ودوره في التأثير:</u>

اعتبرت إحدى الباحثات أن من عوامل جذب خطاب الغلو للشباب، تقديمه منهجه الفكري دون تكلف، فلم يركز على عملية إصلاح النفس وتربيتها وتهذيبها، أو التوعية العلمية المؤصلة، بل اكتفى بالدورات الشرعية المختصرة. كما أنه قدم فكرة الفوز بالجنة والوصول إلى مرضاة الله بشكل بسيط يقتصر على خطوة واحدة وهي الانتقال إلى ضفة الغلو، فصور نفسه على أنه الفرقة الوحيدة الناجية وكفّر بقية الفرق.

كما استهدف في خطابه مختلف فئات المجتمع وخاصة النساء، حيث سعى إلى تجنيد الأقلام النسائية لتدافع عن هذا الفكر وتروج له، نظراً لإدراكه قدرة النساء على التأثير على محيطهن وأزواجهن وأبنائهن[170].

ومن جهة أخرى اعتبر أحد قادة الفصائل أن خطاب المرجعية المعتدلة المقابل لخطاب الغلو كان ضعيفاً، وجاء وفق نسق واحد مخاطباً شرائح متنوعة تختلف في أنماطها الفكرية وفي تقبلها للخطاب الديني، فتوجه للجميع بنفس اللغة وبنفس

[169] تم الإعلان عن تشكيل جبهة النصرة في أوائل عام 2012 بقيادة «أبو محمد الجولاني»، وأعلنت عن نفسها لاحقاً كذراع لتنظيم القاعدة في سوريا. أُدرجتها الإدارة الأميركية على لائحة الإرهاب في كانون الأول 2012، وفي 30 أيار 2013 قرر مجلس الأمن الدولي إدراج «جبهة النصرة لأهل الشام» في قائمة العقوبات للكيانات والأفراد التابعين لتنظيم القاعدة.

[170] مثّلت الباحثة بحالة د. إيمان البغا التي انتقلت إلى "دولة الخلافة"، وجندت ولديها في صفوف "داعش".

الأفكار من دون مراعاة احتياجات هذه الشرائح والتغيرات الاجتماعية والنفسية التي طرأت عليها، مما جعل هذا الخطاب ضعيف التأثير وخاصة مع غياب مرجعياته عن الداخل السوري.

2-1- المرجعية الشرعية وتحديات المواجهة مع أصحاب فكر الغلو:

أشار عضوٌ في المجلس الاسلامي السوري أن من أبرز الصعوبات التي واجهت العلماء خلال اصطدامهم مع أصحاب هذا الفكر، أن معيار أهل الغلو للمرجعية العلمية لا يقوم على أساس التحصيل الشرعي والأكاديمي، بقدر ما يعنيهم ما تعرضت له هذه المرجعية من اضطهاد في السجون، ومواجهات مع السلطات المحلية[171].

كما شرح أكاديمي مختص في علوم القرآن ممن خاض تجربة طويلة مع الشباب في الداخل، أن الحوارات والنقاشات العلمية مع الشباب الذين تشربوا فكر الغلو لم تكن مجدية، ولم يقنعهم الاستشهاد بأقوال العلماء المعروفين أو استعراض فتاوى المجلس الإسلامي السوري، فتظاهروا بالاقتناع وأخفوا حقيقة ما يؤمنون به، ولم تظهر مواقفهم الحقيقية إلا عندما تطور الصدام إلى مواجهة عسكرية مع "داعش"، حيث التحقوا فوراً بصفوف الغلو، ولم يكن لأي من الحوارات العلمية أثر يذكر.

ومن جهة أخرى رأى أكاديمي آخر، أن من أهم الإشكاليات التي واجهت المرجعيات الشرعية التي تصدت لهذا الفكر، أن مجموعات الغلو دفعت برموزها إلى الواجهة وقامت بتلميعهم وتسليط الضوء عليهم إعلامياً، بينما غيبت الفصائل الأخرى مرجعياتها الشرعية وأبعدتها عن الساحة، بل وفرضت بعض الفصائل أحياناً على عناصرها -عن جهل وسوء تقدير- حضور دورات شرعية عند أصحاب فكر الغلو، الأمر الذي ضخّم أثرهم على الشباب.

كما اعتبر عضو في المجلس الإسلامي السوري أن من أبرز الأخطاء التي ارتكبت في التعامل مع الغلاة، كانت في اعتبارهم معزولين؛ حيث أثبت التاريخ والحاضر أن الغلو لا ينمو إلا في بيئة معزولة، حتى يشتد ساعده ويقوى كما حدث مع الخوارج، لذلك كان واجباً الوقوف في وجه هذا الفكر منذ بداية ظهوره ومحاربة انتشاره قبل أن يشتد ساعده.

وأشار أحد المختصين في العلوم الشرعية إلى أن من أصعب ما واجهه خلال تصديه لهذا الفكر المتطرف، هو اعتماد فكر الغلو على بعض المسائل الموجودة في التراث الفكري الإسلامي، والتي لم يتصد لها أحد بالنقد أو التهذيب أو الشرح أو الضبط كمسائل ولاية المتغلب ومفهوم الولاء والبراء، وبالتالي استخدم دعاة الغلو بعض الأقوال الضعيفة والمسائل الخاضعة للاجتهاد، والواردة في كتب التراث المشهورة لإضعاف حجة المرجعية المعتدلة وردودها.

وقد اتفقت العديد من الآراء على أن المرجعية العلمية في الحالة السورية لم تستطع أن تحقق التواصل المطلوب مع المرجعيات الخاصة في الداخل السوري وذلك لأسباب متنوعة كالحالة الأمنية أو نتيجة استهداف العلماء ومحاولات إسقاطهم، وبالتالي لم تكن المرجعيات العامة قادرة على الوصول والتأثير في الشباب بشكل كبير، وافتقدت الساحة للعلماء العاملين على الأرض، في حين استطاع أصحاب الغلو الاقتراب من الشباب سواء بالتغلب، أو باستغلال الحماس الموجود عندهم، أو من خلال

---

[171] أشار المتحدث إلى أن الغلاة لا يقبلون الفتوى من أي عالم مالم يكن معهم على أرض الحدث، مرتكزين بذلك على قاعدتين:

- الأولى: تستند إلى قوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)، وبالتالي يعتبرون الجهاد شرطاً للهداية والفهم والرأي السديد،
- الثانية: هي قاعدة (لا يفتي قاعد لمجاهد)، وبذلك ضربوا بكافة الفتاوى التي وردت من خارج دائرتهم عرض الحائط.

إجبارهم على حضور دورات شرعية، خصوصاً في ظل عدم وجود أي مشاريع استباقية وقائية موجهة للشباب لتعريفهم بفكر الغلو وأضراره.

أما أحد قادة الفصائل العسكرية فقد اعتبر أن التحدي الأكبر الذي يمكن أن تواجهه أي مرجعية دينية، يتمثل في التصدي لمظاهر الفرقة بين الجماعات الإسلامية والتي تجلت بالاختلاف في الأساس الفكري والعقدي، وفي استراتيجيات العمل الجماعي، بالإضافة إلى غياب الفهم العميق للعديد من القضايا المعاصرة وضعف العلم الشرعي وعدم الأهلية للتصدر للفتوى، كما أن غياب الوازع الأخلاقي والديني في التعامل، والصراعات على أسس قبلية وعشائرية وعائلية ومناطقة زادت من عمق الخلافات، بالإضافة إلى دور المفسدين الذين يسعون بإيقاع الفتن بين الفرقاء سواء كانوا أفراداً أم دولاً.

3-1- أخطاء أضعفت تأثير المرجعية المعتدلة وخطابها:

أشارت بعض المداخلات إلى أن من أهم الأخطاء التي وقعت بها المرجعية العلمية السورية والتي يجب تداركها هو عدم استفادتها من التجارب المماثلة في بلدان أخرى كالجزائر والعراق، حيث كررت نفس الأخطاء، وتأخرت في اتخاذ مواقف حاسمة تجاه "تنظيم الدولة" و"جبهة النصرة" أبرز فصائل الغلو، رغم وجود تجربة مماثلة سابقة، حيث أشار عضو في المجلس الإسلامي السوري إلى أن استصدار فتوى وموقفاً موحداً بحق تيار الغلو، احتاج الكثير من الوقت والنقاشات والجهود.

ومن جهة أخرى أشار أحد المختصين في العلوم الشرعية، إلى أن العديد ممن تصدوا لفكر الغلو (المرجعيات الخاصة) لم يكونوا على مستوى علميٍ كافٍ، وخاصة فيما يتعلق بالثقافة المعاصرة، وبالتالي كانت نقاشاتهم ومناظراتهم مع مشايخ الغلو تظهرهم وكأنهم الطرف الأضعف؛ فلم تكن لديهم استراتيجية واضحة حول كيفية مواجهة هذا الفكر، وماهي الطروحات المطلوبة للرد عليه.

واعتبر أحد أعضاء المجلس الإسلامي السوري أن هناك العديد من الأخطاء التي يمكن أن تسقط المرجعية في نظر أتباعها، كالتناقض والتأرجح في الفتوى، أو ضعف العلم الشرعي والصلة بكتب التراث الفقهي، أو الإفتاء في مسألة بأنها ليست من الدين، مع أن لها حكماً في كتب التراث.

ومن جهته اعتبر عضو المكتب السياسي لأحد الفصائل أن ما حدث في الحالة السورية هو حالة انفصال بين النظرية والتطبيق، فقد استطاع السوريون إيجاد مرجعية علمية شرعية على مستوى النظرية، ولكنهم فشلوا كأفراد وفصائل في التطبيق الشامل، وخاصة فيما يتعلق بمحاربة الغلو، حيث نجح التطبيق في بعض المناطق، وفشل في أخرى لأسباب متنوعة.

4-1- المرجعية الشرعية في مواجهة الغلو: نحو تفعيل الدور والتأثير:

اعتبر عضو في المجلس الإسلامي السوري أن المرجعية العلمية المطلوبة لمواجهة فكر الغلو تنقسم إلى: مرجعية عامة وتتمثل في المجالس الإسلامية والروابط العلمائية التي تصدر عنها الفتاوى العامة، والمرجعية الخاصة؛ والتي تتمثل بالشيخ أو المربي،

مشيراً إلى أن مرجعيات الغلو العامة والخاصة لا تضم أي عالم مرموق أو مشهور أو صاحب تأثير على الصعيد الفكري أو الشرعي وهي نقطة يجب استثمارها خلال المواجهة الفكرية[172].

بينما اعتبر أحد القياديين في إحدى الفصائل العسكرية أن تحديد المرجعية الشرعية ليس أمراً مطلوباً من أجل توحيد الفتوى ولا من أجل الرد على الشبهات فحسب، وإنما من أجل تشكيل تجمع ينهي مسألة الافتراق الاجتماعي والتكافلي والبنيوي، حيث اعتبر أن ظاهرة الغلو استندت في تحقيق انتشارها إلى القوة العسكرية ولسياسة إسقاط الرموز والقدوات، مستغلة حالة الفرقة على نحو أساسي[173].

وتوافقت بعض المداخلات على أن وجود المجلس الإسلامي السوري كمرجعية لن ينهي إشكالية الغلو، نظراً لارتباط هذه الظاهرة بالكثير من الأسباب الاجتماعية والنفسية والاختراقات الأمنية، وهذه الأسباب لا تملك المرجعية الدينية حلاً لها، إلا أن وجود مرجعية فكرية موحدة، يسمح بتضييق الخلاف وجمع كافة الأطياف تحت رؤية واحدة.

كما طرحت العديد من المداخلات توصيات لتفعيل دور المرجعية الشرعية في مواجهة ظاهرة الغلو وتعميق أثرها حيث اعتبر أحد الباحثين أنه من الضروري عند بناء المرجعيات، أن يتم التعريف بها بشكل جيد وإقناع الشباب بها، والتركيز على أن تكون معروفة وموثوقة في الوسط وعند العامة، وهذا ما افتقده المجلس الإسلامي السوري، فأغلب أعضائه لم يكونوا معروفين في الداخل، ولم يكن هناك جهد إعلامي واضح للتعريف بهم[174]،

واعتبرت بعض المداخلات أن المرجعيات التي تتصدى لتيار الغلو تحتاج استيعاب الأثار النفسية والعقلية عند أصحاب هذا المذهب وطرق تفكيرهم، وبالتالي من الضروري التركيز على فهم سيكولوجيا التطرف ببعدها النفسي والاجتماعي، والتي تساعد في مواجهة هذا النمط الفكري، واختيار شكل الخطاب المناسب للرد على حججه أولاً، وشكل الخطاب الموجه للعامة ثانياً، كما تحتاج المرجعيات إلى جانب إصدارها للفتوى المناسبة، أن تتقن طريقة إيصالها للعامة وفق هندسة نفسية اجتماعية، وبلغة سهلة مفهومة تفهمها كل شرائح المجتمع.

كما لفت أحد الباحثين النظر إلى أن التركيز على التناقضات التي وقع فيها أصحاب الغلو، والتذبذب في مواقفهم، وفضح الممارسات التي خالفوا فيها ما ينادون به له أثر كبير في زعزعة صورتهم عند العامة، وتحطيم بنيانهم الفكري والتشكيك في مصداقيتهم ومشروعهم.

وعلق أحد الباحثين بأن الواقع الحالي يؤكد أن الحالة الفصائلية هي حالة مؤقتة ستنتهي قريباً، إلا أن الحالة الثورية مستمرة، ومن الضروري ترميم الضرر الذي لحق بها نتيجة فكر الغلو وفصائله، وهذا يتطلب إعادة صياغة نمط مقاومة أيدلوجية فكرية.

---

[172] طرح مدير أحد المراكز البحثية تساؤلاً حول درجة الاحتياج لوجود مرجعية دينية، وهل هي ضرورة لمجتمعاتنا التي لا تنبثق عن حالة علمائية؟ أم هي محاولة لإلباس شكل طائفي للسنة في سوريا أسوة بالشيعة؟ حيث اعتبر أن ظهور المجلس الإسلامي السوري جاء نتيجة تطورات طرأت عليه الفترة الماضية، ولم يأت نتيجة الحاجة لمواجهة فكر الغلو، كما أنه لا يزال بعيداً عن ملامسة الحياة السياسية ويعاني انفصالاً عن الحياة الواقعية.

[173] استدل المتحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال: " يخرجون على حين فرقة من المسلمين".

[174] أشار المتحدث إلى استخدام فصائل الغلو الإعلام بطريقة فعالة، وإبراز منظريها وتلميعهم، وفي الوقت نفسه، محاربة أي جهد إعلامي على الطرف الآخر، فقامت مثلاً باغتيال الشيخ زاهر شرقاط عندما قدم برنامج "تنظيم الدولة بلسان القادة" في محاولة لإسكات أي صوت إعلامي يواجه فكرهم.

ورأت بعض المداخلات أن المرجعية الشرعية معنية في الوقت الحالي بفتح باب الاجتهاد والتخصص في مجال الفقه السياسي وفقه الواقع[175]، حيث اقترح أحد الباحثين الاستفادة من تجربة المدرسة الفكرية الإصلاحية التي ظهرت قبل الخمسينات ومن روادها محمد رشيد رضا وكامل القصاب وطاهر الجزائري ومحمد بهجه البيطار، وغيرهم ممن دخلوا معترك الشأن العام وقدموا التأصيل الشرعي لكثير من مسائلها، فإغناء الفقه بمعالجات للقضايا السياسية الحالية يمكن أن يحل الكثير من الإشكاليات التي اعتمد عليها فكر الغلو، كما يمكن الاستفادة من النتاج الفكري للمدرسة الإصلاحية في بلاد المغرب كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي وضحت كيفية التعامل مع السياسة في ظل الاستعمار أو غيره، وماهي الفتاوى اللازمة في مجال الفقه السياسي، كما اقترح مدير أحد المراكز البحثية على المرجعية الشرعية أن تطلع وتستفيد من تجارب بعض الدول والمراكز التي تخصصت في محاربة فكر التطرف وآلية تحصين المجتمع منه.

2- معايير لتمييز جماعات الغلو عن الجماعات المعتدلة من فصائل الثورة السورية:

قدمت الورقة الثانية التي حملت عنوان: "**معايير لتمييز جماعات المعارضة السورية المسلحة المتطرفة عن المعتدلة** " والموجهة لصناع القرار[176]، مجموعة من المعايير والتي قاست فيها التطرف بناء على رصد قضيتين رئيستين هما:

- رصد مظاهر الغلو الديني والذي يشمل:
  - الغلو الفكري
  - والغلو السلوكي.
- رصد التطرف السياسي المتمثل بمخالفة المبادئ السياسية الجامعة التي توافقت عليها معظم الجهات السياسية السورية.

واعتبرت الورقة أن قياس الغلو الديني يتم بالتركيز على قياس الغلو الفكري والغلو السلوكي، حيث ركزت معايير الغلو الفكري على:

- الغلو في التكفير.
- عدم اعتبار المرجعيات الشرعية من غير مرجعياتهم الخاصة.
- عدم قبول مبادئ التدرج والمرحلية، واعتبار القتال هو الطريقة الوحيدة للتغيير.
- رفض الواقعية القطرية والاصرار على الخطاب العالمي.

[175] طرح أحد المختصين بالعلوم الشرعية سؤالاً حول كيفية الموازنة بين من يطالب بفتح الباب أمام الأفكار التنويرية ومن يطالب باعتماد المرجعيات والتركيز على قضايا الاجتهاد، وخاصة فيما يتعلق بالاجتهاد السياسي، وكيف يمكن التوفيق بين الطرحين في ظل تعقيد الواقع وتنوع مشاكله؟

[176] والمقصود بهم بحسب ما ورد في الورقة: كل من يحتاج إلى معلومات لاتخاذ قرارات معينة بناء عليها من الفاعلين الحكوميين أو غير الحكوميين من أصحاب المصالح في المناطق المختلفة التي يمكن أن تنشط فيها الجماعات محل البحث، كمسؤولي المنظمات الانسانية أو منظمات المجتمع الدولي المحلية أو الدولية، والمسؤولين السياسيين أو العسكريين لكيانات المعارضة السورية، ومن يشابههم ممن يهمه الأمر من المؤسسات الاقليمية والدولية.

- الغلو في قضايا الولاء والبراء.
- تنزيل نصوص آخر الزمان على واقع ومقاس أهل الغلو.

بينما ركزت معايير قياس الغلو السلوكي على:

- ✓ رفض الدخول "مبدئياً" في التحالفات على المستوى الوطني.
- ✓ رفض مختلف المبادرات السياسية والاتفاقات الدولية "مبدئياً".
- ✓ استخدام أعلام ورايات "إسلامية" حصراً.
- ✓ كثرة انخراط الجنسيات الأجنبية "المهاجرين" وتوليها المسؤوليات في التنظيمات.
- ✓ الانخراط في عمليات إرهاب الفصائل الأخرى وقتالها وعمليات الاغتيال.
- ✓ المسارعة إلى إعلان الدول والإمارات.
- ✓ تنفيذ العمليات الانتحارية والتوسع في قاعدة "التترس".

وحددت الدراسة معايير التطرف السياسي بأربعة معايير وهي

- عدم التبني الصريح لمبدأ المواطنة.
- الموقف من الأقليات.
- عدم اعتبار أي أهمية للتوافق والإجماع الوطني.
- العمل والتنسيق مع فصائل الغلو ومشاركتهم.

وقدمت الورقة دراسة لحالة التحولات باتجاه الاعتدال النسبي لحركة أحرار الشام، ومآلات ذلك التحول ونتائجه.

وقد أوضح معدّ الورقة المنهجية؛ حيث أشار إلى أنها صممت أساساً لتخاطب صانع القرار المعني بالقضية السورية، بهدف الوصول إلى فهم مشترك حول مفهوم التطرف والإرهاب، وبالتالي اقتضى ذلك مخاطبته باللغة التي يفهمها للوصول إلى توصيفات مشتركة يتم التوافق عليها معه.

وتمت الإشارة إلى أن تحديد معالم الغلو في التكفير يعتمد على مرجعية "أهل الاختصاص من المتمكنين في العلم الشرعي في الهيئات والمرجعيات الشرعية الجامعة المستقلة، كحالة المجلس الإسلامي السوري والهيئات المنضوية تحته" وفق ما أقروا بأنه خارج عن حالة الاعتدال، وعلى ذلك وضعت معايير الغلو بالاستناد إلى حالة تاريخية أجمع العلماء على تطرفها، وهي حالة الخوارج.

وفيما يتعلق بقياس التطرف السياسي، اعتبرت الورقة أن الوثائق التوافقية التي توافقت عليها قوى الثورة والمعارضة تعتبر المرجعية لقياس المواقف السياسية المطلوبة، وبالتالي تم قياس التطرف السياسي استناداً لمخالفة هذه الجهات لما ورد في الوثائق التوافقية.

كما اعتمدت الورقة في تحديد التطرف السياسي على ما اتفق عليه بين السوريين فيما يتعلق بالقوانين والتشريعات الدولية كمعيار للقياس.

وأشار معد الورقة إلى أن المعايير الموضوعة لتوصيف الغلو الديني والتطرف السياسي هي معايير نسبية، فلا يمكن اعتبار وزن معيار التكفير على سبيل المثال كمعيار رفض المبادرات السياسية وغيرها، ولا بد من تثقيل هذه المعيار بشكل يرجح بعضها على بعض، مشيراً إلى أن المعيار الواحد قد يحتاج في بعض الأحيان إلى درجات[177].

1-2- معايير تصنيف التطرف بين المرجعية الدولية والمرجعية المحلية:

أثارت فكرة وضع معايير لقياس التطرف الكثير من الأسئلة[178] والنقاشات بين الحاضرين، فحول مرجعية معايير القياس تحفظت إحدى الأكاديميات المختصات في العلوم الشرعية، على الاستناد إلى المعايير الدولية في تصنيف التطرف واعتبارها الثابت الذي يتم القياس عليه، معتبرة أن مقتضيات الوقت الحالي تجعل الشعب السوري بحاجة لوضع معايير نابعة من احتياجاته.

واعتبرت الأكاديمية أن الكثير من القضايا المطروحة على الساحة حالياً تتأثر ببعدها السياسي، كتصنيف الفصائل وعلاقة الدين بالدولة ومرجعية التشريع وموضوع المواطنة والأقليات، ومن الخطأ مقاربتها وفق ما يريده الآخرون وتجاهل مقاربتها من منطلق وطني وفق ما يريده السوريون، حيث اعتبرت أن دستور 1950 على سبيل المثال ،وهو الدستور الذي يشاد به عالمياً، لم يخرج كرؤية سورية مستقلة، بل وضع ليتناسب والمعايير المدنية المفروضة عالمياً، داعية السوريين إلى اعتماد معاييرهم الخاصة المنطلقة من قناعاتهم الذاتية وتصوراتهم وألا يتحركوا وفقا لما يفرضه الآخرون.

ومن جهة أخرى أشاد أحد أعضاء المجلس الإسلامي السوري بالجهود المبذولة في وضع المعايير والتي اعتبرها حاجة ضرورية للغاية طالما أنها تتناسب مع حالتنا السورية، حتى لو تقاطعت مع المعايير الدولية، حيث أكد على الحاجة لأداة تُصمم من منطلق محلي لتصنيف الجماعات السورية وغير السورية التي لها تأثير إيجابي أو سلبي على القضية السورية كالمليشيات الشيعية وحزب الله وغيرها.

ورأى أحد المختصين في علم الاجتماع أن الثورة السورية اليوم في لحظة زمنية تحتاج من الجميع الجرأة والشجاعة سواء على مستوى اتخاذ الموقف أو حتى بنحت المصطلح أو المنهج الذي نريد أن نسير عليه، وقد يكون الاعتراف بوجود حالات متباينة من التطرف الخطوة الأولى في هذا السياق. حيث شدد على احتياج كافة الحركات الإسلامية اليوم –خاصة السورية-إلى مراجعة

[177] 80 درجة من مئة، وأخذ التطرف السياسي 20 درجة من مئة.

[178] تساءلت إحدى المختصات في العلوم السياسية حول مدى صحة اعتبار حالة الغلو منبثقةً عن الحالة العسكرية، وكيف سيكون شكل الغلو وحالته فيما لو تغيرت موازين القوى العسكرية؟ وماهي المعايير التي يمكن أن نتوجه فيها للمجتمع حتى يستطيع من خلالها تمييز ما هو متطرف وما هو معتدل على اعتبار أن المعايير الواردة موجهة بخطابها لصناع القرار؟

أفكارها وسلوكياتها ومحاسبة نفسها والاعتراف بمسؤوليتها عما وصلت إليه الأمور والاعتذار من الشعب كما فعل أبو يزن الشامي أحد قادة أحرار الشام، وهذا ينطبق أيضاً على السياسيين وأعضاء الائتلاف وقادة الفصائل، فالجميع يتحمل المسؤولية وخاصة من تصدر للقيادة وهو لا يحسن العمل، ولا يحسن اختيار التوقيت، ولا يستوعب الدروس المشابهة، ويستعلي على الناس وعلى أهل الخبرة، ويرفض نصائحهم ويتعالى عليها.

2-2- كيف تعاملت الفصائل المعتدلة مع المعايير والاتفاقيات الدولية؟:

اعتبر أحد المختصين في شؤون الجماعات الإسلامية، أن العديد من فصائل الثورة أخطأت كثيراً عندما تعاملت مع معايير المرجعية الدولية في تصنيف الجماعات الإرهابية بشيء من الاستخفاف والتجاهل، ولم تقم لها أي اعتبار في الساحة العسكرية، معتبراً أن هذا التجاهل يندرج تحت بند الخطأ الشرعي، لأن هناك العديد من أدلة الكتاب والسنة التي أشارت إلى دلالة بعض هذه المعايير على تطرف في الدين، كما أن تجاهل هذه المعايير كان سبباً في الابتلاء والضغوط الدولية وأدخل البلاد في مواجهة تفوق القدرة.

ومن جهة أخرى أشار أحد الباحثين، أن الفصائل العسكرية في سوريا، باعتبارها ليست دولاً بالمعنى القانوني، لم تكن مطالبة بالتعامل مع الاتفاقيات الدولية والتي تخاطب الدول فحسب، بقدر ما كانت مطالبة بالالتزام والتعامل مع القوانين التي تحكم "التنظيمات العسكرية" كالقانون الإنساني الدولي، وبالتالي من الخطأ اعتماد الاتفاقيات الدولية معياراً لتصنيف الفصائل المتطرفة. حيث يمكن أن يكون المعيار في هذه الحالة هو مدى التزام هذه التنظيمات بالقواعد الدولية الخاصة بها، كقواعد القانون الإنساني الدولي.

ورأى الباحث أنه يمكن اعتبار المعايير الواردة في الورقة معاييراً استرشادية وليست معايير قانونية، لأنها أمور لم تصل الدول فيها إلى توافق أو رؤية موحدة، وبالتالي يمكن للمعايير الواردة في الورقة أن تعطي للمتابع بعض العلامات الأساسية التي تساعده في التمييز بين الجماعات المتطرفة وبين تلك غير المتطرفة.

2-3- "التطرف السلوكي".. الفخ الذي وقعت فيه معظم الفصائل المعتدلة:

اعتبرت بعض المداخلات أن أغلب الفصائل وقعت في شكل من أشكال "التطرف السلوكي"[179]، اختلفت درجته بين فصيل وآخر، إلا أن هذا التصرف لم يكن نتيجة قناعات فكرية. وبالتالي نجحت الفصائل في رسم الإطار النظري الفكري واعتماد مرجعيتها الفكرية إلا أنها فشلت على مستوى التطبيق لأسباب مختلفة بعضها خارج عن إرادتها[180].

بينما اعترض مدير أحد المراكز البحثية على الحجة السابقة والتركيز على فكرة أن المشكلة لم تكمن في النظرية وإنما في الفشل في تطبيقها، معتبرا أن هذا الطرح التبريري، والذي يعتبر سمة لهذا النمط من الفكر، كان سبباً في وقوع الفصائل في الكثير من الأخطاء.

---

[179] من أشكال التطرف السلوكي عند الفصائل، التجاوزات في الاستحواذ على الملكيات الخاصة، وموضوع "الغنائم" في المعارك، وفرض السيطرة بقوة السلاح، الاقتتال الداخلي واعتقال المعارضين والتدخل في شؤون الإدارة المدنية... الخ.

[180] اضطرت الفصائل في وقت ما إلى استيعاب المهاجرين ضمن صفوفها حتى لا يذهبوا إلى صفوف "داعش"، كما اضطرت إلى رفض المشاركة في العمل السياسي أو بالجهات السياسية تحت ضغط الشارع أو من أجل ألا تتهم من قبل فصائل الغلو.

ومن جهته رد أحد أعضاء المجلس الإسلامي السوري على من رفض تقبل فكرة الاختلاف بين النظرية والتطبيق، بأن معرفة الأسباب التي كانت وراء هذا الاختلاف ودراستها أمر ضروري، فهل يمكن لوم من أعطى أولويته في وقت ما لمراعاة صفه الداخلي على حساب مراعاة الضغوط الخارجية[181]؟! وهل كان بالإمكان التنبؤ بشكل المشكلات التي يمكن أن تظهر فيما لو اتبعت النظرية بحذافيرها؟! معتبراً أن الإنصاف ومراعاة الدقة في البحث والتصنيف يستدعي معرفة الأسباب الحقيقية التي دفعت لمخالفة النظرية، وأخذها بعين الاعتبار قبل الحكم على السلوك أو قياسه وهو أمر ليس بالسهل على الباحثين، ولكنه يدفع عن المعايير صفة الجمود، ويعطي التصنيف مصداقية أكبر من مجرد الحكم على الحدث من خارجه ودون النظر إلى سياقاته.

بدوره رأى قيادي لأحد الفصائل أن مصطلح "التطرف السلوكي" لا يمكن اعتباره وفق درجة واحدة عند الجميع، فبالنظر إلى سلوك الفصائل خلال الثورة يمكن ملاحظة حالات مختلفة، فهناك فصائل وقعت فريسة التطرف الفكري فقط، وأخرى مارست التطرف السلوكي، بينما نجد فصائل دفعها غلوها الفكري لحالة من التطرف السلوكي أو التطرف السياسي، ولئن كانت "داعش" وجبهة النصرة قد وصلوا إلى قمة الغلو والتطرف، فالفصائل السورية طالها جزء من هذا التطرف وفق مستويات مختلفة.

في حين انتقد قيادي آخر المعيار الذي اعتبر " العمليات الاستشهادية" معياراً سلوكياً يدل على حالة من التطرف، معتبراً أنه أمر إشكالي لم يصل فيه الفقهاء ولا حتى السياسيون لرأي واحد، كما اعتبر أن استخدام رايات إسلامية أو حتى الخروج عن "التوافق" على دستور 1950، لا يرقى لأن يكون معياراً للتطرف؛ لأن هذا الدستور وإن حصل على توافق معظم أطياف الشعب، إلا أنه لم يحقق طموحات التيار الإسلامي حسب رأيه.

كما أشار إلى انطباق بقية معايير التطرف السلوكية على جميع الفصائل بدرجات متفاوتة، فمعظم الفصائل مارست التغلب بشكل من الأشكال، وقامت بانتهاكات تجاه المدنيين، وارتكبت تجاوزات في موضوع "الغنائم"، واستباحت الممتلكات، حيث لا يمكن تفسير هذه التجاوزات أنها نتيجة تطرف في النظرية بقدر ما كان الدافع فيها المنفعة الشخصية وسطوة السلطة، وبالتالي اعتماد المعايير السلوكية كدلالة على التطرف "غير منطقي" وصعب القياس، ولا يعطي تصنيفاً صحيحاً يميز بين الفصائل المتطرفة وغير المتطرفة.

واعتبر القيادي أن غالبية فصائل الثورة مرت بمراحل ثلاث انتقلت فيها من مرحلة الاعتدال إلى مرحلة التطرف السلوكي وليس العقدي، وصولاً إلى مرحلة التحلل والتغير النوعي، حيث تحول العديد من المقاتلين من مدافعين عن الأرض وأصحاب قضية إلى "مرتزقة"، وبالتالي تغير شكل التطرف السلوكي الذي مارسته الفصائل حسب طبيعة المرحلة، حيث اعتبر أن الأولوية حالياً لمكافحة التطرف السلوكي عند الفصائل كمدخل لمكافحة التطرف الفكري لاحقاً.

[181] اعتبر المتحدث أنه يمكن تفهم لجوء بعض الفصائل لاعتماد خطابات ورايات إسلامية بدل علم الثورة كمحاولة لاستيعاب صفها الداخلي وجنودها من الافتتان بطرح فصائل الغلو والتسرب إلى صفوفهم في وقت كان خطابهم جذاباً جداً للشباب، وقد اضطرت الفصائل لمجاراة متطلبات الوضع آنذاك وإن كانت هذه المجاراة لن تلقى قبولاً من قبل أطراف خارجية أو إقليمية.

4-2- معايير التطرف السياسي وصعوبة القياس:

ناقش الحضور معايير التطرف السياسي التي وردت في الدراسة، حيث اعتبر أحد الأكاديميين أن بعض المعايير المعتمدة كمعيار "الأقليات والمواطنة" كانت فخاً ومطباً وقع فيه السياسيون والعسكريون على حدا سواء، مشيراً إلى أن المتابع الدقيق لشكل المجتمع السوري قبل وخلال الثورة يدرك جيداً أن هذين المصطلحين لم يكونا متداولين إلا ضمن سياق إيجابي وبشكل طبيعي تربى عليه الشعب بأكمله، فالشعب السوري لم تكن لديه أي مشكلة في التعامل مع الأقليات، بل على العكس حاول في بداية ثورته استمالة مكونات الشعب المتنوعة كالعلويين والأكراد، وفق رؤية ثورية واضحة لمستقبل سوريا الذي سينعم فيه الجميع بالحرية والعدالة والكرامة بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الطائفي، إلا أن نظام الأسد على وجه الخصوص وبعض عناصر الاستخبارات الدولية سعوا إلى التركيز وإثارة هذه "النقاط الحساسة" وتسليط الضوء عليها بشكل متعمد وتحويل الثورة من سياقها الشعبي إلى شكل الحرب الأهلية.

ومن جهتها اعتبرت إحدى المختصات بالعلوم السياسية، أن مقاييس التطرف السياسي الواردة في الورقة لا يمكن لها أن تبين حقيقةً درجة الاعتدال والتطرف في الجهة المدروسة، فمن الناحية النظرية يعترف نظام الأسد على سبيل المثال في دستوره بمبدأ المواطنة و بوجوب الحفاظ على حقوق الأقليات، إلا أن هذا لا يجعله معتدلاً، وخاصة مع عدم وجود مقياس واضح مفصل يقيس مثلاً درجات الاعتراف بالمواطنة أو بحقوق الأقليات، حيث اعتبرت أن التوجه لدراسة تجربة العمل السياسي الذي قامت به بعض من الفصائل سواء على نطاق التفاوض أو على نطاق التمثيل الرسمي السياسي، قد يكون مساعداً في فهم الإطار السياسي العام الذي وجه عمل الفصائل في هذا المجال.

وحول المعايير المطروحة في الورقة، اعترض أحد قادة الفصائل على إطلاق التعميم بأن الغلو الفكري يكون سبباً لحالة تطرف سياسي، حيث استشهد بفرقة الأحباش في لبنان والتي رغم غلوها الفكري والديني إلا أنها تتماهى مع السلطة لأبعد حد، معتبراً أن أبرز مظاهر التطرف الفكري الذي وقعت به جماعات الغلو تجلى في تحويل النصوص الإخبارية عن آخر الزمان إلى أحكام شرعية ملزمة واجبة التنفيذ.

ورأى عضو في المجلس الإسلامي السوري أن اعتبار المواقف السياسية كمعايير لقياس التطرف، أمر لا بد أن يتم بحثه بشكل أكثر دقة، حيث أن كثيراً من المواقف السياسية جاءت كردة فعل على تطرف سياسي آخر، فتوجه الثورة باتجاه الأسلمة جاء رداً على تطرف بعض العلمانيين وإصرارهم على علمنة الدولة وإبعاد الدين عن الحكم، كما أن الحاضنة الشعبية كانت تدفع في كثير من الأحيان قياداتها باتجاه مواقف محددة، فالتهاون في مواجهة فصائل الغلو جاء نتيجة توجه شعبي ورفضٍ لمحاربة من يقول "لا إله إلا الله"، وخاصة مع بدايات الثورة عندما لم يكن مشروع الغلو واضحاً في سوريا، بالإضافة إلى أن تنامي السخط الشعبي تجاه السياسة الأمريكية أو العملية السياسية ورعاتها لأنها خفضت سقف المطالب الشعبية، كان دافعاً وضاغطاً على العديد من الفصائل لرفض فكرة الحل السياسي أو التفاوض، ومن جهة أخرى أجبر هذا الضغط الشعبي الكثير من الفصائل في الفترة الأخيرة على استبدال راياتها واعتماد علم الثورة، وبالتالي لم يكن للفصائل رؤية سياسية واضحة فارتكبت الكثير من الأخطاء السياسية، تحت ضغط الحاضنة الشعبية غير الواعية بذريعة الحفاظ على وحدة الصف.

ومن جهة أخرى اعتبر قيادي آخر أن معيار التصنيف المتعلق "بالتنسيق مع فضائل الغلو ومرجعياتهم الدينية" ينطبق على كل الفصائل بلا استثناء، مشيراً إلى فترة زمنية مرت بها الثورة، كانت بعض فصائل الغلو كجبهة النصرة تعتبر من مكونات الثورة، امتدحها السياسيون كميشيل كيلو ومعاذ الخطيب وسميت إحدى الجمع باسمها، في محاولة ألا توسم الثورة بالإرهاب وهو ما كان خطأً كبيراً لم يدركه إلا قلة في ذلك الوقت.

وعلق مدير أحد المراكز البحثية على صوابية قياس المواقف السياسية التي لا تخضع بعمومها لقوانين ثابتة، متسائلاً عن صحة اعتبار مخالفة المجموع شكلاً من أشكال التطرف، حيث طرح مجموعة من الأمثلة التاريخية حول شخصيات واجهت مجتمعاتها بآراء معاكسة ومخالفة لسياق المجموع كابن تيمية أو السيوطي وتسبب لها ذلك بالسجن أو العداء، إلا أنه ثبت لاحقاً أن هؤلاء الافراد كانوا على حق في طروحاتهم وأنهم بمخالفتهم للمجموع أنقذوا المجتمع وصححوا بوصلته، فهل من الصواب اعتبار هذه النماذج متطرفة؟

ورأى الباحث أن "حركة أحرار الشام"، والتي تعتبر من الفصائل المعتدلة خالفت السياق العام، عندما رفضت الانضمام لمرجعية المجلس الإسلامي السوري، خوفاً من أن تتحكم هذه المرجعية برفع السلاح ووقته، وبالتالي لا يبدو أن مخالفة المجموع أمر يدل على التطرف، معتبراً أن الحكمة لا تقتضي إخضاع الفصائل لمثل هذه المعايير باستثناء هيئة تحرير الشام وتنظيم "داعش".

5-2- قياس التطرف: بين الحاجة والضرورة وتشديد الضوابط على المعايير:

اعتبرت الكثير من المداخلات أن طرح فكرة وضع معايير للتصنيف أمر بالغ الأهمية، ويعتبر حاجة ملحة، حيث قدمت الورقة منهجية جيدة في قياس التطرف إلا أنها لا زالت تحتاج إلى المزيد من الضبط والتعديل، حيث رأى أحد الأكاديميين أن الوصول إلى معايير دقيقة وواضحة يحتاج إلى ضبط شديد على المستوى اللغوي لتراعي دقة الصياغة المعيارية، بالإضافة إلى توضيحٍ أكبر للتأصيل الشرعي بشكل مكتوب يفهم منه القارئ مهما كانت خلفيته الميزان الذي تم به القياس، وبالتالي سيصبح من الضروري قبل اعتماد هذه المنهجية في التصنيف، طرح المعايير على خبراء من مختلف الاختصاصات، للوصول إلى حالة من الإجماع الشعبي يؤدي إلى اعتمادها وتعميمها على المجتمع بكافة أطيافه.

ومن جهته اعتبر أحد الباحثين أنه من الضروري ألا تقتصر قياس حالات التطرف على الجانب النظري فحسب، وانما تحمل في سياقاتها جانباً إجرائياً، وفيما يتعلق بتخريج المصطلحات لا بد من توضيح الدرجة التي تنقلب فيها بعض المصطلحات إلى درجة التطرف، فالراديكالية كمصطلح فكري لا يمثل إشكالية إلا عندما يترافق بحالة من العنف، ولو كان شكلاً من أشكال المقاومة، ومن الجيد تقديم مثل هذه الأوراق لصانع القرار الأوروبي للتأثير في القضايا التي تمس منطقتنا.

وأشار أحد المتخصصين في الدراسات الاسلامية إلى وجوب تركيز المعايير على قياس المبادئ التي تؤمن بها الفصائل، لا على التفاصيل السلوكية الصغيرة، فبدل التركيز على شكل اللباس والرايات الذي اعتمدته الفصائل يمكن التركيز على مبدأ التمايز عن جماعة المسلمين كمعيار أدق، وكذلك يمكن استبدال معيار "العمليات الاستشهادية" الذي قد يخلق حالة التباس ويحتاج

للكثير من الضبط بمعيار الغلو في مفاهيم الجهاد أو استهداف الجماعات الإسلامية أو عامة المجتمع بعمليات "استشهادية" بتهمة الردة.

6-2- حركة أحرار الشام: تجربة التعامل مع فكر الغلو ومواجهته:

قدمت الورقة دراسة مفصلة لحالة حركة أحرار الشام وفقاً لمعايير التطرف التي افترضتها وناقشت فيها الكثير من المواقف والقضايا التي تسببت بحالات إشكالية خلال الثورة السورية.

وقد وضح قيادي في الحركة أن حركة أحرار الشام تبنت موقفاً واضحاً من العمل السياسي منذ عام 2013، انطلق من اجتهادها الخاص بجدوى هذا العمل في ظل الأنظمة القائمة حالياً، إلا أنها أيضاً ارتكبت الكثير من الأخطاء في هذا السياق، مشيراً إلى أن الحركة قامت بالكثير من المراجعات الفكرية خلال سنوات الثورة حتى تتناسب رؤيتها مع الواقع، ومن أهم هذه المراجعات كان التوفيق بين الحالة الوطنية وطموح الأمة نحو التغيير حيث صرح أحد قادتها على قناة الجزيرة الانكليزية، بأن الحركة تنطلق من منطلق وطني ،ولكنها أيضا تؤمن بحق الشعوب الاسلامية في تحقيق شكل من أشكال الوحدة أسوة بالاتحاد الأوربي، وبذلك قدم نظرة وطنية باتجاه الوحدة الاسلامية.

واعتبر هذا القيادي أن هذه المراجعات الفكرية لا تعيب الحركة فلقد قامت بها العديد من الحكومات التي أتت من خلفية إسلامية، كالحكومة في تركيا ومصر بعد الثورة وتونس، وبالتالي حققت الحركة نجاحاً على مستوى النظرية، إلا أن الكثير من الظروف أعاقت تطبيق هذه النظرية على أرض الواقع، فعلى سبيل المثال اضطرت حركة أحرار الشام في وقت ما على استيعاب "المقاتلين المهاجرين" ضمن صفوفها، حتى لا يلتحقوا بصفوف تنظيم "داعش"، ويتحولوا من حلفاء إلى أعداء.

ومن جهة أخرى علق أحد الأكاديميين أنه من الضروري قبل دراسة أي فصيل وفق المعايير المقترحة، أن نخرج كسوريين من حالة اللوم الضمني وتحميل المسؤولية للآخر والاعتراف بأن الجميع شاركوا بما وصلنا إليه من إيجابيات وسلبيات، حيث دعا المراكز البحثية والمعنيين بدراسة الحالة السورية إلى الحوار بشكل معمق وصادق مع قيادات الفصائل لفهم الأسباب التي دفعتهم لاتخاذ بعض المواقف، أو التي كانت وراء الدخول في مراجعات فكرية، وخاصة حركة أحرار الشام التي يمكن اعتبارها أحد مكتسبات الثورة رغم الأخطاء الكثيرة التي ارتكبتها، وبالتالي لابد من معرفة الظروف التي كانت وراء ما وصلت إليه الحركة للحكم بشكل أكثر عدلاً وأكثر موضوعية.

3- قراءة في بعض تجارب فصائل المعارضة في التعامل مع الغلو وتنظيماته وخطابه على الأرض السورية:

درست الورقة الثالثة حالات تعاملت فيها الفصائل العسكرية مع فصائل الغلو إما على سبيل المواجهة العسكرية أو على نطاق التعاون المشترك، حيث برزت خلال الدراسة مجموعة من الإشكاليات تتعلق بتداخل الجوانب السياسية بالاجتماعية عند دراسة سلوك الفصائل، بالإضافة إلى كون البيانات المعلنة لا تمثل حقيقة موقف الفصائل، كما أن أغلب الحالات اشتركت في قيام فصائل الغلو بالفعل، بينما اقتصر دور بقية فصائل الثورة على رد الفعل.

فقد ركزت الحالة المدروسة الأولى على الصدام العسكري بين جبهة ثوار سوريا[182] وجبهة النصرة التي ابتدأت البغي، حيث هدفت من هذا الصدام العسكري السيطرة على الموارد المالية، وإفشال مشروع تشكيل مجلس قيادة الثورة العسكري، بالإضافة إلى وجود تيار داخل جبهة النصرة يرغب بالانتقام من جمال معروف قائد جبهة ثوار سوريا، حيث تذرعت بوجوب الثأر لمقتل أحد قياداتها وتطهير المنطقة من الفساد الذي يقوم به عناصر "ثوار سوريا".

وحُسمت المعركة لصالح جبهة النصرة نظراً لمجموعة أسباب أضعفت جبهة ثوار سوريا، كان منها التنافر الفصائلي وفقدان تأييد الحاضنة الاجتماعية في جبل الزاوية، والضعف الذي اعترى جبهة ثوار سوريا نتيجة الاتساع الكمي على حساب الترابط البيني، والذي ترافق مع حالة غياب الوعي الثوري والتدخلات الخارجية، وازدحام المشاريع الفصائلية، عدا عن الإدارة الإعلامية الفاشلة للمعركة والتعويل على الوساطات وخيار المحكمة الشرعية، وكانت هذه المواجهة العسكرية بمثابة بالون اختبار لقياس ردة فعل بقية الفصائل حول إمكانية وقوفها ضد هذا البغي، حيث أيقنت جبهة النصرة أن بإمكانها تكرار بغيها مرة أخرى دون أن يحرك أحد من الفصائل ساكناً .

بينما تطرقت الحالة المدروسة الثانية إلى تجربة جيش الفتح[183] العسكرية والإدارية وظروف النشأة والتشكيل ، والتي حققت نجاحاً عسكرياً تكتيكياً، قابله فشل سياسي وإداري استراتيجي، حيث سلطت الدراسة الضوء حول كيفية تعامل فصائل جيش الفتح «المعتدلة» مع فصائل الغلو في ملفات إدارة إدلب، سواء في الملف الإداري أو التعليمي أو القضائي أو الأمني أو فيما يتعلق بملف المنظمات، حيث عرجت الدراسة على محاولة فصائل الغلو تعميم هذه التجربة في كل من حلب والجنوب والغوطة الشرقية ،وتطرقت إلى دراسة سلوك تلك الفصائل خلال معارك حلب والتي تسببت بسقوطها في نهاية المطاف.

بينما ركزت الحالة الثالثة على "نجاح" فصيل نور الدين الزنكي[184] في تجربة المواجهة الأولى مع جبهة النصرة[185]، من خلال مجموعة من العوامل أعطته بنية متماسكة كالارتباط المناطقي والاجتماعي، ووجود حالة تنظيمية جيدة، ونشاط إداري واقتصادي وقضائي وقيادة مسيطرة.

وقد انتقلت العلاقة بين الفصيلين من حالة التحالف، إلى مرحلة الصراع على السياسة، ثم إلى مرحلة الصراع الوجودي، حيث استعرضت الدراسة بعض التكتيكات التي استخدمها فصيل نور الدين الزنكي والتي سهلت عليه الحسم العسكري كالتحكم

---

[182] جبهة ثوار سوريا وهي فصيل عسكري معتدل، تشكل في نهاية عام 2013 من تحالف عدد من التشكيلات العسكرية، حيث استلم قيادته جمال معوف، وخاضت الجبهة العديد من المعارك أهمها معارك وادي الضيف، وقد شنت جبهة النصرة عام 2015هجوماً عسكرياً على جبهة ثوار سوريا بحجة تورط الأخيرة بمقتل أبو عبد العزيز القطري قائد فصيل جند الأقصى المتشدد والمقرب من النصرة في ذلك الوقت، حيث حسمت المعارك لصالح جبهة النصرة وانتهت بحل التشكيل، وانتقال قيادته إلى تركيا.

[183] جيش الفتح: وهو غرفة عمليات عسكرية مشتركة تأسست عام 2015، ضمت عددا من الفصائل السورية ذات التوجه الإسلامي "أحرار الشام، و"جيش السنة"، و"فيلق الشام"، و"لواء الحق"، و"أجناد الشام""، بالإضافة إلى "جبهة النصرة" و"جند الأقصى"، حيث خاضت عمليات تحرير محافظة ادلب وما حولها، كما خاض معارك فك الحصار عن حلب، وقد كان له إلى جانب النشاط العسكري، نشاط إداري في المناطق التي قام بتحريرها

[184] يعتبر فصيل نور الدين الزنكي أحد فصائل الثورة السورية الإسلامية، تأسس في نهاية عام 2011 في مدينة حلب وريفها، شاركت في العديد من المعارك ضد قوات الأسد، شارك في غرفة عمليات فتح حلب، وقد اندمج مع هيئة تحرير الشام، ثم انفصل عنها بعد 6 أشهر، وقد شنت الهيئة ضده تحركين عسكريين استطاع صد الهجوم الأول، وخسر في المواجهة الثانية حيث تراجع إلى مناطق درع الفرات وغصن الزيتون في بداية عام 2019، حيث تم إعادة هيكلته

[185] تم إعداد هذه الدراسة قبيل العدوان الثاني الذي قامت به هيئة تحرير الشام على فصيل نور الدين زنكي ومجموعة من الفصائل الاخرى والتي كان من نتيجتها سيطرة الهيئة على معظم المناطق في منطقة ادلب، والقضاء على تواجد "الزنكي" في ريف حلب بصورة نهائية.

بزمام المعركة من خلال قيادة مركزية، والاستعداد النفسي المسبق الذي ترافق مع خطاب إعلامي مدروس، والحشد الفكري من خلال الاستفادة من فتوى مجلس الإسلامي السوري، حيث استغلت حركة نور الدين الزنكي التضاريس الجغرافية كما نجحت في تحييد المقاتلين الاجانب من الصراع.

ووصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي

وبعد استعراض الورقة فتح المجال للمداخلات، حيث أشارت إحدى الأكاديميات المختصة بالعلوم السياسية، أن التجارب المعروضة في الورقة ركزت على حالة مواجهة الغلو بالشكل العسكري بين فصائل اصطدمت ببعضها لأسباب أيديولوجية أو مصلحية أو اجتماعية، متسائلة حول إمكانية دراسة مواجهة فكر الغلو في سياق ثوري، وفي سياق إعادة بناء مجتمعات النهوض السوري.

3-1- تجارب الاندماج والتنسيق مع جماعات الغلو: مشاريع تغلب و انتحار سياسي:

اعترض أحد قادة الفصائل على اعتبار حالة المواجهة العسكرية بين جبهة ثوار سوريا وجبهة النصرة كانت ضمن سياق مواجهة فكر الغلو، أو أنها كانت نتيجة اختلافات فكرية، فقد عُرف عن جبهة تحرير سوريا تقاربها الكبير وتعاونها مع تنظيم "داعش"، حتى أنها سهلت هروب عناصر التنظيم عبر الحواجز خلال مواجهاته مع الفصائل، وبالتالي يمكن اعتبارها تجربة تعاون مشترك انتهت نتيجة تضارب المصالح.

بينما أشارت معظم المداخلات على أن تجربة جيش الفتح، والتي تعاونت فيها الفصائل السورية مع فصائل الغلو، لم تكن تجربة مواجهة بقدر ما كانت تجربة تعامل وذوبان، استطاعت فيها فصائل الغلو السيطرة على القرار وتغييب البعد الوطني لاعتبارات مختلفة.

فقد أشار أحد الاكاديميين ممن شهدوا التجربة، أن فصائل المعارضة المعتدلة لم تكن على قدر من الوعي لاستثمار الانتصارات العسكرية على الأرض، بل جنح العديد منها إلى "سلوكيات متطرفة" من خلال تدخلهم في شؤون الإدارة المدنية، فعلى سبيل المثال عارض فصيلان معتدلان من أكبر الفصائل في جيش الفتح تسليم ملف التعليم في محافظة ادلب بعد تحريرها لإدارة مدنية، وتدخل بعض أفرادهم بقرارات حساسة رغم افتقارهم للخبرة والكفاءة و الأهلية في هذا المجال، في حين لم تقدم فصائل الغلو أي تحفظ على الأمر ، وبالتالي ساندت الفصائل المعتدلة بشكل غير مباشر فصائل الغلو، عندما تهاونت في تنفيذ ما اتفقوا عليه قبل المعركة بتسليم إدارة المحافظة لجهات مدنية، وعندما تلبست بسلوكيات متطرفة تتشابه مع سلوكيات فصائل الغلو.

ومن جهته أشار قيادي في إحدى الفصائل، إلى أن تجربة جيش الفتح رافقها العديد من الظروف التي دفعت بالحركة للمشاركة رغم عدم قناعتها الكاملة[186]، حيث كان للحركة تصور مختلف في الكثير من الأحيان إلا أنها لم تستطع فرضه على المجموع، لأن فصائل الغلو استطاعت عقد تحالفات وإدخال مكونات عسكرية صغيرة موالية لها (عن قناعة أو خوف) وساهمت في دفع التصويت دائماً وفق ما تريده هذه الفصائل.

ومن جهته اعتبر أحد المطلعين بشكل مباشر على تجربة جيش الفتح أن فصائل الغلو استغلت المرحلة بعد التحرير وحاولت استبعاد حركة أحرار الشام والاستفراد ببقية فصائل جيش الفتح بهدف انتزاع بيعة اندماج إلا أن الأمر لم ينجح.

وتطرق أحد الباحثين إلى تجربة جيش الفتح في حلب، مشيراً أنها تستدعي الكثير من الدراسة، وخاصة أنها كانت السبب في سقوط حلب، فقد جنحت بعض الفصائل نحو التطرف السلوكي في وقت حساس، وذلك عندما افتعل فصيل نور الدين الزنكي مشكلة مع تجمع فاستقم كما أمرت[187]، ونهب سلاحه، ولم يكتف بذلك بل قام بالتحالف والاندماج مع فصائل الغلو.

كما استغلت فصائل الغلو الهجمة العسكرية الشرسة على مدينة حلب لتحويل جيش الفتح من مشروع تعاون إلى مشروع تغلب، فقد أخرت إعلان المعركة مدة طويلة للضغط على الفصائل والحصول على بيعة منها، كما أنها استثمرت المعارك لإعادة

---

[186] أكد هذا القيادي أن حركة أحرار الشام لم تكن مقتنعة بصوابية التوجه العسكري نحو محافظة ادلب الذي كانت تدفع فصائل الغلو باتجاهه، إلا أنها اضطرت للانصياع لرأي الأغلبية، وخلال الاستعدادات للمعركة وبعد الإعلان عن تشكيل غرفة عمليات جيش الفتح حاولت فصائل الغلو قبيل الموعد المحدد للمعركة الالتفات على الفصائل المشاركة والانفراد بإعلان المعركة والبدء بها بعيداً عن التشكيل، ولكنها منيت بخسارة بشرية كبيرة مما دفعها للعودة إلى غرفة التنسيق المشترك.

كما أشار إلى أن الخلافات زادت بين فصائل الغلو والحركة بعد تحرير ادلب، حيث أن تقاعس الفصائل وتفرقها، سمح لمشروع الغلو بالتمدد. وعلى الرغم من الإشكاليات الداخلية، وافقت الحركة على إعادة تجربة جيش الفتح عام 2015، بعد استيعاب أزمة "داعش"، والاستعداد مرة أخرى لعمل عسكري ضخم باتجاه ريف حمص الشمالي وصولاً للغوطة، حيث تم استبعاد جند الأقصى من غرفة العمليات، وتم وضع ميثاق جديد لإدارة المناطق المحررة وبدأت الاستعدادات الجادة ونقل السلاح الثقيل، إلا أن ما عرقل الأمر دخول روسيا على خط العمل العسكري.

[187] تجمع فاستقم كما أمرت هو تجمع عسكري لفصائل الثورة السورية تأسس 19-12-2012 في مدينة حلب وريفها وضم 9 فصائل سورية عاملة في المنطقة.

تعويم صورة هيئة تحرير الشام وزيادة تدخلها العسكري في المناطق الأخرى، وذلك عندما أطلق جيش الفتح على إحدى معارك فك الحصار عن حلب اسم "غزوة أبو عمر سراقب"[188]، وبالتالي أعطت نظام الأسد الذريعة الإضافية لمحاربة الإرهاب.

واعتبر الباحث أن لتجربة جيش الفتح جوانب إيجابية فقد حققت كحالة عسكرية انتصارات كبيرة، وكبدت الأسد خسائر فادحة، إلا أنها في المقابل كانت انتحاراً سياسياً لحركة أحرار الشام، ففي الوقت الذي كانت تتهرب الحركة من السياسة وتقاطع المؤتمرات خشية اتهامها بموالاة الكفار من قبل فصائل الغلو، كان الجولاني يجتهد في السر من أجل الوصول إلى السياسة والمفاوضات، وكان أول من جلس وتفاوض مع المخابرات الدولية وأبرم "اتفاقية المدن الاربعة"[189].

2-3- العوامل التي حسمت المواجهات العسكرية لصالح جماعات الغلو:

اعتبرت بعض المداخلات أن من أهم أسباب فشل المواجهات العسكرية مع فصائل الغلو، هو تهاون فصائل المعارضة في تربية عناصرها تربية عقائدية لمواجهة فكر الغلو باستثناء جيش الإسلام[190]، وإلى حد ما، فصيل "صقور الشام"[191]، فهما الفصيلان الوحيدان اللذان انتبها إلى خطورة هذا الفكر وضرورة مواجهته أيديولوجياً وعقائدياً، قبل أن تفرض المواجهة العسكرية نفسها، وبالتالي كان عناصرهما يقاتلون فصائل الغلو انطلاقاً من إيمان وعقيدة.

كما لفتت بعض المداخلات النظر إلى بعض حالات المقاومة الاجتماعية لفكر الغلو، فقد أثمرت جهود بعض المشايخ والعلماء في بعض المناطق في تحصين المجتمع ورفضه لتقبل هذا الفكر، كما في بلدتي جرجناز ومعرة النعمان[192]، مع وجود تجربة مشابهة في القلمون، حيث كان الوعي الشعبي لخطر هذا الفكر عاملاً ضاغطاً على فصائل المنطقة لمواجهته.

وتوافقت معظم المداخلات على أن غالبية الخلافات بين الفصائل وبين فصائل الغلو، والتي انتهت بصدامات عسكرية لم تكن نتيجة اختلافات أيديولوجية بقدر ما كانت نتيجة تضارب في المصالح، استثمرته فصائل الغلو بطريقة ما، وشحنت عناصرها أيديولوجياً، وهيأتهم للبغي على الطرف الآخر، وهو ما ينطبق أيضاً على الصدامات العسكرية بين تنظيم "داعش" وهيئة تحرير الشام اللذين كان بينهما توافق فكري وأيديولوجي كبير واختلاف وتضارب في المصالح.

واعتبر بعض الأكاديميين الشرعيين أن الفصائل ارتكبت الكثير من الأخطاء في تعاملها مع فصائل الغلو والتي كانت سبباً في إحجام العناصر لاحقاً أو عدم تقبلهم لقتال أصحاب هذا الفكر، ففي فترة معينة كانت قيادات حركة أحرار الشام تتحدث

---

[188] أبو عمر سراقب هو قيادي بارز في فصائل الغلو وقائد سابق لجيش الفتح في معارك تحرير ادلب ووادي الضيف قتل نتيجة غارة جوية من التحالف الدولي. https://bit.ly/2I8tnzE

[189] وهي اتفاقية أبرمت في نيسان 2017 بين قيادات جيش الفتح من جهة وإيران وحزب الله من جهة أخرى بوساطة قطرية بعد جولة طويلة من المباحثات بدأت عام 2015، حيث قضت بخروج من يريد من المقاتلين وعائلاتهم المحاصرين في بلدة مضايا ومدينة الزبداني، بالإضافة إلى من تبقوا في وادي بردى، مقابل خروج سكان بلدتي كفريا والفوعة المدنيين والمقاتلين، كما تضمن الاتفاق تبادلا للأسرى والجثث بين الطرفين، https://bit.ly/ovR8Su2

[190] جيش الإسلام فصيل إسلامي سوري تأسس في الغوطة الشرقية في مدينة دوما على يد زهران علوش، خاض العديد من المعارك ضد قوات الأسد، كما شن العديد من الحملات العسكرية على فصائل الغلو حيث تمكن من إنهاء وجود عناصر "داعش" في الغوطة الشرقية وبرزة وحد من سلطة وانتشار هيئة تحرير الشام.

[191] وهو فصيل سوري ضم مجموعة من سكان جبل الزاوية، تأسس على يد أحمد عيسى الشيخ، وخاض العديد من المعارك ضد قوات الأسد وتنظيم "داعش".

[192] من المظاهرات التي شهدتها معرة النعمان ضد جبهة النصرة دعما للفرقة 13، 21-7-2016، https://www.youtube.com/watch?v=-fgrTga2nB0 ، https://www.youtube.com/watch?v=XYaEBFWoI2o

عن "إخوانهم" في جبهة النصرة، ومعظم عناصر الحركة وعناصر جيش الفتح تلقوا دورات شرعية عند منظري فكر الغلو، وبالتالي لم يكن هؤلاء العناصر مهيأين لا فكرياً ولا نفسياً لأي صدام عسكري مع هذا الفكر.

ومن جهة أخرى رأى أحد الأكاديميين أن من الأخطاء التي ارتكبتها الفصائل وأضعفت موقفها أنها استخدمت شكل خطاب الغلو ومصطلحاته في بعض خطاباتها، وخاصة في مرحلة حاولت معظم مكونات الثورة شرعنة وجود جبهة النصرة كفصيل يدافع عن الشعب السوري، وذلك بعد صدور التصنيف الأمريكي الذي وضعها على لائحة المنظمات "الإرهابية" الأجنبية، بل وخرجت مظاهرات شعبية رفعت شعارات "جبهة النصرة تمثلنا"[193].

ولكن ومع ظهور "داعش" كتنظيم مرتبط بالقاعدة وعدوانها على عدد من الفصائل السورية، بدأت الأخيرة بالحشد الشعبي والفكري للمواجهة العسكرية ضد هذا التنظيم، مستندة على مجموعة معايير أيديولوجية وعقدية تؤكد غلوهم ووجوب قتالهم، إلا أن هذه الفصائل تجاهلت في الوقت ذاته أن هذه المعايير تنطبق بشكل ضمني على جبهة النصرة والتي اعتبرتها من مكونات الثورة، وقد دفعت محاولات احتواء الأخيرة ضمن الثورة السورية، إلى تمدد نفوذها واتساعه وتزايد شعبيتها وهوما دفع بعض الفصائل إلى التراجع عن أدبياتها وبعض مبادئها الفكرية مجاملة لها.

كما افتقدت غالبية الفصائل العسكرية السورية ذات الخلفيات الإسلامية لعمليات المراجعات الفكرية والتقييم السلوكي، بل على العكس قامت بتبرير العديد من انتهاكاتها ومخالفاتها وتطرفها السلوكي بالتغلب والمصلحة العسكرية.

واعتبرت بعض المداخلات أنه لا يمكن النظر إلى الصراعات الفصائلية التي حدثت ولا المواجهات العسكرية فيما بينها على اعتبارها نتيجة أسباب داخلية وصراع على النفوذ وتضارب للمصالح فقط، فلا يمكن إغفال التدخلات الدولية والاستخباراتية التي نشطت في المنطقة، والتي كان لها يد كبرى في تحريك الصراع حتى على المجال العسكري.

بينما اعتبر أحد قادة الفصائل أن المشاكل الداخلية كانت السبب الرئيسي وراء سقوط أكبر الفصائل في الثورة كجبهة ثوار سوريا وحركة أحرار الشام وأضعفت قدرتها على مواجهة فصائل الغلو، حيث عانت هذه الفصائل من حالة تآكل داخلي، واستشرى الفساد بين عناصرها، وانتشرت السرقات والمظالم، وانشغل الفصيل بتأمين الموارد المالية على حساب متابعة الإعداد العسكري لعناصره، كانشغال جبهة ثوار سوريا بتهريب المازوت وانشغال أحرار الشام بإدارة المعبر.

وحول تجربة فصيل نور الدين الزنكي في مواجهة الغلو تحفظت بعض المداخلات على اعتبار الحالة حالة مواجهة، وإنما كانت حالة تعاون واحتواء انتهت بصدام عسكري لتضارب المصالح، حيث رأى أحد قادة الفصائل أن نجاح تجربة المواجهة الأولى لفصيل نور الدين الزنكي في صد هجوم فصائل الغلو لم يكن بسبب مناعته الفكرية ولا قوته العسكرية ، ولا بسبب المؤازرات التي حصل عليها، والتي كانت قليلة، فالأعداد التي صمدت مع فصيل نور الدين الزنكي حتى نهاية المعركة كانت معدودة، ولكن السبب الرئيسي يعود لأن عدداً من الفصائل كصقور الشام وحركة أحرار الشام في سهل الغاب وجبل الزاوية فتحوا معركة

[193] بعد إعلانها "ارهابية" أمريكياً... الشارع "ينتصر لجبهة النصرة" و"حر" يتوحد معها، موقع زمان الوصل، تاريخ النشر 11-12-2012، https://bit.ly/2Bz15Zd، مظاهرة حمص القديمة جمعة جبهة النصرة تمثلنا ، 14-12-2012 https://www.youtube.com/watch?v=8YMkK8pm-2Q

جديدة للتخفيف عن الزنكي، فاضطرت هيئة تحرير الشام إلى سحب جزء من قوتها المركزية إلى مناطق الغاب وجبل الزاوية وهو ما مكّن فصيل نور الدين الزنكي من الصمود.

وأشار أحد الأكاديميين أن معظم الفصائل السورية فشلت باستغلال ورقة الحشد الشعبي ضد الغلاة على النحو الأمثل باستثناء الفرقة 13والتي تمكنت من حشد معظم سكان مدينة معرة النعمان لصد عدوان هيئة تحرير الشام.

بينما رأى أحد المختصين في العلوم الشرعية ممن كان له تجربة طويلة مع الفصائل داخل سورية، أنه من الضروري عند دراسة حالات المواجهة بين الفصائل وجبهة النصرة البحث وطرح الاسئلة حول مجموعة من الحوادث والاغتيالات لشخصيات عرف عنها وقوفها في وجه فصائل الغلو ومنع اعتداءاتها، كالمقتل الغامض لقادة حركة أحرار الشام، وخاصة أبو عبد الله الحموي الذي وجه إنذاراً قبل استشهاده للجولاني يحذره من مغبة البغي على جمال معروف قائد جبهة ثوار سوريا.

واعتبر أحد السياسيين أن من أكثر الفصائل التي تصدت لفكر الغلو واصطدمت به كان جيش الإسلام وحركة أحرار الشام، حيث أرجع ذلك إلى الخلفية السلفية الفكرية لقادة هذين الفصيلين، والتي جعلتهم الأكثر دراية بالأساس الفكري الذي يقوم عليه تيار الغلو، معتبراً أن استعراض التجارب العسكرية لفصائل الثورة أثبت أن هذه الفصائل لم تتخذ قراراتها وفق أسس منهجية سواء على نطاق المواجهة أو تشكيل التحالفات، كما أنها وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه من تصادمات وصراعات على النفوذ مع فصائل الغلو، حاربت هذه الفصائل المعارضة السياسية وعملت على إسقاطها، وأفشلت محاولات هذه الجهات السياسية في تسويق هذه الفصائل كفصائل "معتدلة دولياً".

وقد اعتبر أحد المختصين في العلوم الشرعية أن تاريخ الفصائل في مقاومة الغلو يشير إلى نقص واضح في العلم الشرعي، وفي الوعي وتغليب للعواطف في مواقف كانت تستدعي الحزم، حيث كان لخطاب الغلو أثر خلال الصراعات نظراً لكونه مؤدلجاً مؤثراً، قادراً على الحشد، ممتلكاً للتجربة في مواجهة فصائل لم يكن لديها بالمقابل بنية فكرية متماسكة، وبالتالي لم يكن الحسم العسكري مجدياً دون هذا الإعداد الفكري.

3-3- تجربة جيش الإسلام في مواجهة الغلو: عوامل القوة والاستعداد:

اعتبرت العديد من المداخلات أنه من الضروري الإضاءة على تجربة جيش الإسلام في مواجهة فصائل الغلو كونها التجربة الأنضج والأكثر أثراً وقدرة على اجتثاث هذا الفكر وإنهائه، فقد رأى مدير أحد المراكز البحثية أن الصبغة المناطقية لجيش الإسلام و البنية المتماسكة التي أقامها كتنظيم عسكري، وقدرته على تحقيق ارتباط بين القيادة والجنود بشكل أفضل من فصائل الشمال كانت عوامل قوة رجحت كفة المواجهة العسكرية لصالح جيش الإسلام، وبالتالي كان صفه الداخلي متينا إلى درجة مكنته من ضرب فصائل الغلو بيد من حديد، لكن خطأه الوحيد أنه لم يقض على هذه الفصائل بشكل نهائي.

واعتبر قيادي في جيش الإسلام أن المواجهة مع فصائل الغلو يجب أن تستغل الجانب المصلحي إلى جانب الجانب الأيديولوجي، مستعرضاً إحدى التجارب التي قام جيش الإسلام بها في منطقة القلمون ،والتي استغل فيها الفرص لمواجهة فصائل الغلو فكرياً وعسكرياً، ففي إحدى المعارك ضد تنظيم الدولة، تقاعست الفصائل الموجودة في المنطقة عن المواجهة، فلجأت قيادات

جيش الإسلام إلى تأمين دعم مالي بسيط لكل من يقاتل في المعركة من أي فصيل، وهو ما شجع العديد من المقاتلين من مختلف الفصائل على الانضمام بينهم عناصر من هيئة تحرير الشام[194].

بينما اعتبر قيادي أخر في جيش الإسلام أن سر نجاح تجربة جيش الإسلام في مواجهة الغلو، يكمن في وجود كفاءات علمية مرجعية على الأرض تصدت بشكل فوري لكل ما يطرحه الغلاة ودمرت حججهم ومنطلقاتهم الفكرية، وعملت على توعية الناس لخطأ الطروحات التي يعتمدون عليها وخاصة فينا يتعلق بالتكفير أو ما يتعلق بمظهر المقاتل ولباسه، ومن ثم توجهت هذه المرجعية إلى الإعداد الشعبي الإيديولوجي لعموم فئات الشعب عامة وللمقاتلين خاصة، وهو ما ساعد على اجتثاث تنظيم "داعش" بالكامل، فقد ركز المشايخ والعلماء على عقد ندوات ومحاضرات وتقديم عروض مرئية في المساجد العامة للتعريف بفكر الغلو والتحذير منه، وبالتالي يمكن تلخيص تجربة جيش الاسلام بثلاثة مرحلة بدأت بالمحاربة الفكرية ثم الحشد الشعبي ثم حشد المقاتلين.

وقد اعتبرت بعض المداخلات أن من أبرز الأدوات التي ساعدت جيش الإسلام في مواجهة فصائل الغلو "التعاطي الأمني"، حيث أنه وجه ضربة مفاجئة بقبضة حديدية ضمن رقعة جغرافية محدودة ومحاصرة، وبالتالي لم تكن مواجهة عسكرية حقيقية، إلا أن هذا الهاجس الأمني عند جيش الإسلام أثار مخاوف فصائل محلية ودفعها للتحالف مع ما تبقى من فصائل الغلو عندما حدثت الاقتتال الداخلي، وانتهى الأمر إلى انقسام الغوطة فصائلياً ومهد لسقوطها عسكرياً.

ومن جهة أخرى اعتبر أحد الباحثين أن تجربة جيش الاسلام تختلف عن تجارب الشمال، فقد كانت الظروف مختلفة ، فهذه التجربة لم تنجح بسبب الاهتمام بالتحصين الفكري فقط، بل كان للعصبية المناطقية في دوما دور في التفاف المقاتلين حول قياداتهم ،وخاصة مع وجود شخصية قيادية متميزة كزهران علوش، كما أن المواجهة كانت مواجهة رأس مع ذنب، أي فصيل متماسك مسيطر على الأرض، مع جماعات ضعيفة يمكن اعتبارها أذناباً لفصائل الغلو، وبالتالي كانت الوضع مختلفاً لدى فصائل الشمال التي فشل فيها الحسم العسكري نتيجة التداخل الفصائلي، والصراع المصلحي والتشابك المعقد في الانتماءات والجغرافيا.

واعتبر الباحث أن بعض تصريحات زهران علوش العلنية في بداية الثورة كان فيها شيء من التودد لزعيم جبهة النصرة، بينما كان خطاب جيش الاسلام في مجالسه المغلقة يتقارب مع خطاب الغلو فيما يتعلق بالتغلب، وهو ما أقلق خصومه من الفصائل وأقلق جبهة النصرة ودفعها للتحالف مع فصائل تعتبرهم من الكفار.

[194] أشار المتحدث إلى مشاركة 18 عنصراً من جبهة النصرة من أصل 30 عنصراً وهم إجمالي العناصر التابعين لها في المنطقة، في هذه المعركة بعد الإعلان عن توفير رواتب للمشاركين، حيث شرح المتحدث كيف استغل هذا القائد ظروف المعركة في طرح العديد من النقاشات الفكرية والعلمية والتأصيل لفكر الجهاد المعتدل ومهاجمة فكر الغلو بالأدلة والبراهين ، وساعده في ذلك عدد من الشرعيين طوال فترة المعركة ، وبالتالي تمكن خلال هذه المدة البسيطة من هدم البناء الفكري للغلو وقلب قناعات العديد من المقاتلين وموقفهم ، حتى أن بعضهم تحول إلى أبرز المحاربين لهذا الفكر.

خامساً: توصيات و اقتراحات:

وبعد استعراض الأوراق الثلاثة وإثرائها بالنقاشات والأفكار تقدم الحضور بمجموعة من التوصيات وهي:

أولاً: فيما يتعلق بالمرجعية الشرعية في مواجهة تيار الغلو:

1) الحرص على دعم المرجعيات الشرعية الجامعة وتعزيز وجودها والتعريف بها بين الشباب وكافة شرائح المجتمع.
2) الحرص على استقلالية المرجعيات الشرعية عن الحكومات وعن مختلف الأجندات والتحزبات السياسية.
3) التأكيد على دور العلماء والدعاة في مواجهة الغلو والتطرف من الناحية الفكرية، وذلك من خلال الرد على الشبهات الفكرية ومناقشة الغلاة وحوارهم ومناظرتهم والردود عليهم، وتوجيه الأنظار إلى التناقضات التي وقعوا فيها، والسلوكيات التي اقترفوها والتي تعارض بعض أفكارهم.
4) الانتباه إلى عدم مواجهة خطاب الغلو بخطاب متطرف يميع بعض الثوابت الدينية ويتلاعب بها.
5) الاحتكاك بالشرائح الشبابية والقرب منهم ومعايشة مشاكلهم والرد على أسئلتهم وتخصيص الأوقات الطويلة لهم.
6) التحذير من عزل مناصري الغلو وبيئاتهم الحاضنة، والتركيز على خطاب تلك البيئات بشتى الوسائل وباللغة والطريقة المناسبة.
7) التحذير من الغلو في توصيف الواقع، والاهتمام بفهم أبعاده وتعقيداته وجذوره التاريخية.
8) التأكيد على إشاعة أهمية التخصص في العلم الشرعي لدى مختلف شرائح الشعب، وتوضيح بأنها تأتي من خلال الدراسة المجازة من قبل العلماء مع الانضباط بالإجازة والتوثيق من قبلهم.
9) استنفار فئة من المرجعية الشرعية للتخصص في مجال الفقه السياسي وفقه الواقع، وإعادة فتح باب الاجتهاد وتقديم الفتاوى للعديد من القضايا الإشكالية التي يمكن لفكر الغلو أن ينفذ منها.
10) تنوع خطاب المرجعية الشرعية بحيث يتناسب مع مختلف شرائح المجتمع واحتياجاتهم، والحديث مع كل منهم باللغة والمصطلحات التي توافهم، والتركيز على التوجه للنساء بخطاب خاص يركز لديهن فكر الوسطية والاعتدال.
11) التأكيد على ضرورة تفكيك منظومة الغلو الفكرية والتربوية بداية، ثم الحشد الشعبي ورفع مناعة المجتمع قبل التعامل الأمني أو المواجهة العسكرية مع الغلاة والمتطرفين.
12) الانتباه للبعد النفسي في خطاب الشباب، واختيار القدوات والنماذج القيادية القادرة على تقديم خطاب مقنع ونموذج حي للعالم الذي يقرن القول بالفعل.
13) التأكيد على دور الإعلام وتأثيره في تعزيز تأثير المرجعية الموحدة المستقلة المعتدلة، والتعريف بها، وتهيئة المناخ الشعبي لقبولها والاقتناع بها.
14) التصدي للخطاب التنويري المتطرف، ومواجهته فكرياً لأنه أحد الأسباب لظهور فكر الغلو وانتشاره.
15) التأصيل وربط الصلة مع المصلحين الأوائل في سوريا ممن انخرطوا في مشاريع الاصلاح في الجانب السياسي وانتهجوا الاسلام الوسطي.
16) الاجتهاد السياسي لعلماء الوسطية بتقديم تصورات واجابات للقضايا الكبرى المعاصرة التي يتناولها الغلاة ويستعملونها لاستقطاب الشباب.

17) دعم المشاركة السياسية للفصائل كوسيلة لمواجهة الغلو والتطرف العنيف.

ثانياً: فيما يتعلق بمعايير تمييز جماعات الغلو عن الجماعات المعتدلة في الثورة:

1) ضبط مصطلحات الغلو والتطرف والإرهاب، والتعريف بكل مصطلح وشرحه وتحديد مؤشراته ومقاييسه ومن ثم ترتيب هذه المصطلحات وفقاً لدرجة الخطورة.
2) العمل على تصنيف كافة الجماعات العسكرية التي قاتلت إلى جانب الأسد، وتنزيل معايير قياس التطرف على أفكارها وسلوكها.
3) العمل على تطوير معايير مماثلة قادرة على قياس إرهاب الدول التي تملك من الأدوات مالا يملكه الأفراد وتصنيف الدول الإرهابية والتحذير منها.
4) ضبط المعايير الواردة في الورقة لغوياً بشكل يراعي الصيغة المعيارية.
5) فيما يتعلق بمعايير التطرف السلوكي لابد من دراسة الظروف والأسباب التي دفعت وراء هذا السلوك المتطرف وتحليلها قبل تقييمها للوصول إلى حكم أكثر موضوعية وعدالة.
6) تطوير المعايير السابقة من قبل خبراء ومختصين والانتقال بها لحالة من التوافق والاعتماد بحيث تصبح المرجعية الموحدة لقياس التطرف عند مختلف الجهات.

ثالثاً: فيما يتعلق بتجارب الفصائل في التعامل مع الغلو وخطابه:

1) ضرورة تدوين الوقائع التاريخية التي حصلت في الثورة، وجمع الشهادات والروايات المختلفة ممن عاصروها، في محاولة لتوثيق المرحلة، ومن ثم تأريخها من خلال مقاطعة الشهادات واستخلاص المعلومات وتحليلها وصولاً الى النتائج، مع الحرص على عدم التسرع بالحكم نظراً لتعقيد القضايا التي يتم بحثها.
2) إضافة تجربة جيش الإسلام في مواجهته الفكرية والمجتمعية والعسكرية مع فكر الغلو إلى الورقة.

FONDATION
CORDOUE
DE GENÈVE
مؤسسة قرطبة بجنيف

sydialogue
www.sydialogue.org
contact@sydialogue.org